

الحلول الشرعية في الخلافات الزوجية

تأليف

خالد عبد العظيم متولي

25
ح

مكتبة علوم القرآن



الحلول الشرعية
في
الخلافات الزوجية

خالد عبدالعظيم متولي

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي

الطبعة الثانية

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٣م

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم :(٧١)
٢٥٤٦٨
ح ح م

الحلول الشرعية في الخلافات الزوجية

تأليف
خالد عبد العليم متولي

مؤسسة علوم القرآن
الشارقة




* ما هي بواعث الخلافات الزوجية ؟

* ماذا تفعل الزوجة عند انحراف الزوج ؟

* ماذا يفعل الزوج عند انحراف الزوجة ؟

* ماذا يفعل أهل الزوج وأهل الزوجة عند نشوء الخلاف ؟

* ما هو دور المجتمع والأمة تجاه الخلافات الزوجية ؟






المقدمة

إن الحمد لله وحده ، نحمده ونستعينه ، ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

وبعد :

من آيات الله في هذا الوجود التي تستوقف العقول للفكر والنظر والتدبر هي السكن والمودة والرحمة التي خلقها الله بين الزوجين ، وجعلها شرياناً متدفقاً يمد المشاعر بينهما ، لتظل حية نابضة دافقة ، وتعطى الحياة بينهما روعة وحلاوة وجمالاً ، وتحصن قلبيهما ضد عوامل الهدم والفناء .

ومن ثَمَّ فكل ذريعة تفضي إلى تقويض هذه العواطف ، وخلعها من جذورها ، إنما هي في حقيقتها مبعثٌ لكل خلاف وشقاق قد يفضي إلى موتها وفنائها ، وهذا منتهاه الفراق ، ودمار الأسرة ، وشتات أفرادها ، وهدم بنائها .

والحياة مليئة بالصراع والأحداث ، والأيام والليالي حبالى بالعديد من الأحوال والأطوار ، وهناك من يتربَّصون بالأمة المسلمة من أعدائها الذين يريدون إصابتها في مقتل ، ولذلك يوجهون السهام كلَّها إلى الأسرة ، لأنها قلب الأمة النابض ، وإذا دُمرت الأسرة انهارت الأمة كلها .

وإذا كانت حياة المؤمن والمؤمنة لا تخلو من الابتلاء والمكاره والمحن ، فإن ردَّ الفعل عندهما منضبطٌ بضوابط الشرع ، ويجب ألَّا يبحثوا عن حلول مستوردة من شرق أو غرب ، ليستعينوا بها في مواجهة الصعاب ، فدين الله قد كفانا وأغنانا ، وما علينا إلا الاتباع وليس الابتداع .

وهذه الرسالة هي أجوبةٌ عن خمسة أسئلة ، أجعلها نصيحة لي ولكل مسلم ومسلمة ، تمهد الطريق لإزاحة الخلاف والشقاق من الحياة الزوجية ، وتضع الحلول الربانية حينما تعصف رياح الغضب بالبيوت المستقرة الآمنة ، وأسأل الله أن يدرأ بها الفتن عن الأسرة المسلمة ، وأن يجعلها منارة صدق تدل السائرين على دروب النجاة في ظلمة الحياة ، وأن ينفعَ بها جموع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، إنه بالإجابة جدير ، وهو على كل شيء قدير ، فهو مولانا نعم المولى ونعم النصير .

٢٧ ذو القعدة ١٤١٩هـ

١٤ مارس ١٩٩٩م

خالد عبد العليم متولي




الباب الأول

ما هي بواعث الخلافات الزوجية ؟

١ ـ نزغ الشيطان .

٢ ـ ظهور رجل غريب في حياة الزوجة .

٣ ـ ظهور امرأة غريبة في حياة الزوج .

٤ ـ قرناء السوء حول الرجل .

٥ ـ قرينات السوء حول المرأة .

٦ ـ هجر الرجل لبيئة الطاعة .

٧ ـ سوء الفهم لمعنى القوامة .

٨ ـ فتنة المال بالزيادة أو النقصان .

٩ ـ الفراغ .

١٠ـ السحر والحسد .




١ ـ نزغ الشيطان

إذا كانت الأسرة المسلمة هي اللبنة الأساس في بناء الأمة ، فإن الشيطان لذلك يرصدها هدفاً للهدم والتدمير ، فهو العدو اللدود القديم الذي أقسم بجلال الله ليقعدنَّ لبني آدم على الصراط المستقيم ، حتى يصدهم عنه ، ويصرفهم إلى غيره ، فهو يضع الخطط ، ويرسم الخطوات ، ويبث الشباك ، ليعكر صفو الحياة على المؤمن والمؤمنة .

وله إلى القلوب مداخل كثيرة ، منها :

١ ـ الشيطان **يضخم الأخطاء** التي لا ينفك عنها ابن آدم ، حيث جاء في الحديث : « وكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون »[١] .

وإذا كان الخطأ غير المتعمد أو المقصود مما يتوقع صدوره من كل آدمي ، فهنا يجب ألا يأخذ الخطأ أكبر من حجمه ، حتى نعينَ المخطىءَ على التوبة والرجعة إلى رشده وصوابه .

٢ ـ **إظهار عيوب كل طرف للآخر** ، ويغرس الوهم من

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه عن أنس .

سلوكيات ظاهرها جفوة ، وباطنها مشروع مباح لا شيء فيه .

٣ ـ فلتات اللسان بقول السوء ، فرُبَّ كلمة جارحة لا يبرأ جرحها إلا بعد سنين ، قال الشاعر :

جراحاتُ السِّنَانِ لها التئامُ وَلا يَلْتَامُ ما جَرَحَ اللِّسَانُ

ولذلك قال سبحانه : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣].

٤ ـ يدخل الشيطان من باب الغيرة لكلا الزوجين ، حتى يتجاوز بها المدى إلى حدود الشك والريبة ، وهذه هي الغيرة المحرمة التي تنسج في الخيال أوهاماً من كل حركة في الحياة ، لتصنع منها جرماً صاحبه منه بريء ، وربما تشتد الفتنة حينما تتجمع بعض الأسباب في وقت واحد ، ليضفي عليها الشيطان موقفاً يلصق به التهمة بصاحبه .

ومن هنا وجب الحذر والتثبت حتى لا تنزع الثقة من القلوب ، وتصبح الحياة كلها سجناً ضيقاً لا يُطاق ، وتصير المعيشة ضنكاً بكل صورها .

فالغيرة مشروعة ، وهي في النساء فطرة ، وفي الرجال مروءة يحبها الله ورسوله ﷺ ، ولهذه الغيرة حدود لا تتخطاها ، وإلا انقلبت شكاً في غير موضع الشك ، وتصبح أداة هدم الثقة القائمة بين الزوجين .

فالغيرة المشروعة من الرجل هي حب امرأته ، وحرصه على

مشاعرها ، وقيامه بمسؤوليته نحوها ، وعدم تعريضها لما لا تطيق ، وذلك كله حتى لا ترحل بعواطفها وأشواقها إلى غيره .

والغيرة المطلوبة من المرأة على زوجها هي احترامه ، وتفقّد الأحوال التي ترضيه ، والمسارعة في هواه ، وترك اللدد والخصومة والجدال ، وإخلاص الود والعاطفة له دون سواه .

إن عرس الشيطان يقيمه على أنقاض البيوت المسلمة المهدمة ، وهذا ما يشير إليه الحديث الشريف :

« إنَّ الشَّيطانَ واضعٌ عرشَه على الماءِ ، ثم يُرْسِلُ جنودَه وسراياه ، فيأتيه أحدُهم ، ويقولُ لهُ : ما زلتُ به حتَّى قَتَلَ ، فيقولُ : لَيْسَ بشيءٍ ، سَوْفَ يتوبُ . ويأتي آخر ويقول : ما زلتُ بهِ حَتَّى سَرَقَ ، فيقول : لَيْسَ بشيءٍ ، سوفَ يتوبُ . ويأتيه آخرُ فيقولُ : ما زلتُ بهِ حتَّى طلَّقَ امرأتَهُ ، فيقولُ لَهُ : نَعَمْ . أَنْتَ ، أَنْتَ ، وَيُلْبِسُه التَّاجَ »[1] .

* * *

---

(١) رواه مسلم عن جابر بمعناه .

٢ ـ ظهور رجل غريب في حياة الزوجة

متى يظهر الرجل الغريب في حياة الزوجة ؟

إنَّ لذلك أسباباً ، لعل من أعظمها اثنين :

الأول : الاختلاط المذموم بين الرجال والنساء بادعَّاء الحرية الشخصية ، ونسي هؤلاء المتحررون أنَّ هناك انجذاب فطري بين الذكر والأنثى ، وهذا الجذب هو الثغرة التي ينفذ منها الشيطان ، ليغري كلاً منهما بالآخر في الحرام .

وهل هذا معناه أن ينعزل الرجال في مجتمع لا توجد به امرأة ، وأن ينعزل النساء في مجتمع لا رجل فيه ؟؟

إن هذا الاستفهام أيضاً مغالطة تأباها الفطرة والحاجة البشرية ، فالاختلاط المذموم هو الاختلاط الذي لا تحكمه ضوابط الشريعة ، فينتج عنه اتصال الرجل بالأجنبيات عنه في حديث وسمر وإباحية ، يعقبها استلطاف من الطرفين ، ثم يثمر ما لا يرضاه الله من الكبائر والفواحش ، ويشجِّع على هذا ويغذِّيه سفور النساء ، وخروجهن بغير اللباس الشرعي ، ممَّا يحرك الغرائز الكامنة ، ويلهب الشهوات الهادئة .

الثاني : ترك الضوابط الشرعية عند اجتماع الأهل وأقارب

الأسرة ممن لا يحل لهم النظر إلى المرأة ، وخاصة أقارب الزوج ، ولذلك حينما سُئل النبيُّ ﷺ عن الحمو ـ وهم أقارب الزوج ـ قال: «الحَمْوُ الموتُ»[1] وهذا تشبيه بليغ لأقارب الزوج بالموت، لماذا ؟ لأنَّ الموت ينهي الحياة البشرية ، وأقارب الزوج مألوف دخولهم إلى بيت الزوج ، فربما دخلوا في غير وجوده ، مما لا يثير انتباه أحد ، وهنا تخلو المرأة بهذا القريب ، وربما ينسج الشيطان بينهما من الود والعلاقة ما يكفي لإنهاء الحياة الزوجية .

وحتى نغلق هذين البابين ، ونأمن شر الفتنة من جانبهما ، فما علينا إلا ضبط حركة الحياة بضوابط الشرع ، الذي يعلم مداخل الشيطان إلى النفوس فيغلقها بحكمة ، ويحصن القلوب ضد السهام المسمومة التي يصوبها الشيطان نحوها ليطفىء نور الإيمان فيها .

قال تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

وقال ﷺ لابنته فاطمة : « أيُّ شيءٍ خيرٌ للمرأةِ ؟ » .

فقالت : ألَّا تَرَىٰ رَجُلاً وألَّا يَرَاهَا رَجُلٌ . فَضَرَبَ في صَدْرِها ، وكأنَّه أَعْجَبَتْهُ إِجَابَتُهَا »[2] .

---

(١) رواه البخاري عن عقبة بن عامر .
(٢) رواه الدارقطني ، وقال : حديث حسن غريب من حديث الحسن البصري عن علي بن أبي طالب .

وكيف يدخل الشيطان إلى قلب المرأة ليضع فيه محبة رجل غريب عنها ، ليفسدها على زوجها ؟

الزوج مهما كانت صفاته طيبةً ومزاياه كريمةً ، فهو في النهاية بشر ، لا يجتمع فيه الكمال كله ، وربما لا يوجد في الزوج كل ما تتمناه المرأة في زوجها ـ والعكس أيضاً صحيح ـ فربما وجدت تكميلَ هذا النقص في ذلك الرجل الغريب عنها ، فتميل إليه ، وينجذب قلبها نحوه ، وتهيم بهواها وعواطفها تجاهه ، وبذلك تنصرف بقلبها إلى جهة غير جهة زوجها ، فيضطرب سلوكها ، وتتعكر حياتها ، وتفسد عواطفها تجاه زوجها ، والذي ظنَّته كمالاً في هذا الغريب عنها إنما هو من تصوير الشيطان لها ، فالإنسان عادةً يتجمَّل حينما يكون وسْط الناس ، ويجتهد لإظهار أفضل ما عنده ، وربما يكون في خلوته من أسوء خلق الله ، ولذلك كم من ظواهر خدعت العيون ، ولكنها لا تستطيع أن تخدع القلوب التي ترى بنور ربها ، فهي حينئذ تميِّز بين الحق والباطل ، وتعرف الفرق بين الغَثِّ[1] والسَّمين .



---

(١) النحيل المهزول خلاف السمين .

٣ ـ ظهور امرأةٍ غريبة في حياة الزوج

أشد فتنة على الرجال هي المرأة ، وهذا ما يؤكده الحديث : « مَا تَرَكْتُ فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى رِجَالِ أُمَّتِي مِنَ النِّساءِ »(١) ، والرجل بطبيعته التي خلقها الله يختلط بالمجتمع ، ويحتك بالآخرين ، ويخرج إلى الحياة في جهاد لإقامة الحق ، أو تحصيل الرزق الحلال ، الذي يعف به نفسه وأسرته عن الحرام .

إذن كيف تظهر المرأة الأجنبية في حياة الزوج ؟

لعل لذلك أسباباً منها :

١ ـ **انفلاتُ البصر**، وهو النافذة المطلة على القلب، وإذا ترك الرجل منافذه القلبية مفتوحة ، فالشيطان يلج منها ، ليعربد فيه ، ويغرس جذور الشر والغواية، ولذلك قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ﴾ [النور : ٣٠] .

وقال ﷺ عن ربه تبارك وتعالى قال : « النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ الشَّيْطَانِ مَنِ اتَّقَاهَا مِنْ مَخَافَتِي أَبْدَلْتُهُ بِإِيْمَانٍ يَجِدُ حَلاَوَتَهُ فِي قَلْبِهِ »(٢) .

---

(١) رواه أحمد عن أسامة بن زيد .

(٢) رواه الطبراني والحاكم عن عبد الله بن مسعود .

٢ ـ **الإصغاء بالسمع إلى صوت امرأة رقيق** ربَّما حرَّك فيه ما كان ساكناً ، ومن هنا يكون صوت المرأة عورة حينما تخضع به : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب : ٣٢] .

فالرجل كالمرأة لهما قاسم مشترك في هذه القضية ، فربَّما لا يجد الرجلُ في زوجته كل ما يتمناه ، فالكمال ليس صفة بشرية ، وإنما هو صفة ربانية ، فالكمال لله وحده ، وإذا وجد في امرأة أجنبية ما لا يجده في زوجته من رجاحة عقل ، وحسن تصرف ، وجمال خلقة ، ورقة مشاعر ، فهذا كله بدايته من النظر والاستماع .

فمن حفظ هذين البابين ابتغاء وجه الله ، أراه الله في زوجته كل جميل ، وستر عنه منها كل قبيح . وهذا ما يؤكده النبي ﷺ بقوله : « لا يَفْرُكُ مؤمنٌ مؤمنةً ، إنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقاً رَضِيَ مِنْهَا آخرَ »[١] .

٣ ـ **الاختلاط في أماكن العمل** ، مما تكون معه خلوة محرَّمة تجعل الشيطان يغري كلاً منهما بالآخر ، ولذلك قال ﷺ : « ما خَلا رَجُلٌ بامرأةٍ إلا كانَ الشَّيْطانُ ثَالِثَهُما »[٢] .

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة ، ومعنى لا يفرك : أي لا يبغض ولا يكره .

(٢) رواه الترمذي عن عمر .

والخلوة بالأجنبية في غير أماكن العمل أيضاً غير مشروعة ، ولكنها أشد في النهي كلَّما زادت دواعيها وبواعثها .

٤ ـ ضيق صدر الرجل بسوء خلق امرأته ، وعدم محاولته إصلاحها ، وبذل الجهد في تزكيتها ، وتطهير قلبها ، مما يجعله كالظمآن الذي جف الماء في بئره ، فخرج هائماً يبحث عمّا يرويه في شدة الهجير ، ومن هنا يكون مهيئاً لأن يستقطبه الشيطان إليه ، ويوقعه في حبائله ومصايده .

لذلك ظهور المرأة الأجنبية في حياة الزوج يغير مشاعره نحو زوجته ، ويصيبه بالنفور منها ، والابتعاد عنها ، وهذا كلُّه يولد الجفوة في المعاملة ، والغلظة في المشاعر ، مما يفتح باب الخلافات بينهما ، ولو على ما تتفق عليه النفوس السوية ، فيكون الهمُّ الشاغل هو البحث عن أي خلاف مما لا خلاف فيه ، لأنه قد أفاض بعواطفه ومشاعره لامرأة أخرى ، فما عاد قلبه ينبض بأي عاطفة تجاه زوجته ورفيقة حياته .

* * *

٤ ـ قرناء السوء حول الرجل

إن الرجل الفاسد لا يبني أسرة ، ولا يعرف واجباته تجاهها ، فلو كان يبني أسرةً ، ويرعى ذرية ، لاهتمَّ بها ، وما وجد فراغاً للعبث والمجون ، ومن ثَمَّ فقرناء السوء إنما يجمعهم الفشل وعدم التوفيق ، وهم عالة على غيرهم ، وكأنهم بلا أسر يأوون إليها ، يتفقدون مصالحها ، ويقومون على مطالبها ، ولا يفيئون إلى محاضن طاهرة صالحة ، يأخذون منها الحماسة للجد والعمل ، ويجدون فيها الدفء والحنان والسكن ، فما أشبههم بنبتٍ لا جذور له .

والواحد منهم إذا وجد رجلاً بنى أسرة ، ونجح في بنائها ، وأصبح يجني ثمارها ، تأكلُ الغيرة قلبه تجاه هذا الناجح المستقيم ، ويبدأ في التسلل إلى قلبه ليحطمه ، ويفسد عليه حياته ، لأن المصيبة إذا عمَّت طابت ، فيريد أن يكون الكل حوله في المصيبة والبلاء سواء .

ومن هنا نرى قرناء السوء حول الرجل خطراً على قلبه وعقله ، وإذا ظهرت في حياته مشكلة عائلية ، وضاق صدره بها ، ثم خرج إلى هذه الصحبة الفاسدة ، يلتمس منهم النصيحة ، ويطلب منهم العزاء فيما أصابه من همّ وغمّ ، فيا تُرى أي نصيحة

سيجدها عند هؤلاء المرضى ، وأي رشد وصواب يراه في عقول هؤلاء الحمقى ؟؟ هل يستطيع الغريق أن ينقذ غريقاً ، وهل يأخذ الأعمى بيد أعمى ؟ وهل فاقد الشيء يستطيع أن يعطيه ؟

إنه حتماً سيجد عندهم مشورة السوء والرأي الفاسد ، والتحريض على الهدم والشر والدمار ، ولو كان فيه نزعة ندم ورغبة في الرجوع إلى الحق فيسنتزعونها من قلبه ، حتى يتمادى في غيِّه إن كان ظالماً ، وأما إن كان مظلوماً فلن يدلّوه على السبل الشرعية لإصلاح الخلافات الزوجية .

ومن هنا فإنه سيصبح فريسة لهواجس الشيطان ، وينتهي الأمر به في نهاية المطاف إلى هدم أسرته، والانضمام إلى عسكر الفاشلين.

إنَّ الصحبة الصالحة ، وانتقاء الرفقاء ، واختيار الأصدقاء ، مما حضَّ عليه الشرع الكريم ، ونوَّهت بأهميته سنةُ النبي ﷺ ، ويظهر ذلك من هذه النصوص :

قال ﷺ : « لا تُصَاحِبْ إلا مُؤْمِناً ، ولا يَأْكُلْ طَعَامَك إلَّا تَقِيٌّ »[1] .

وقال ﷺ : « المَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيْلِهِ ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ »[2] .

---

(١) رواه ابن حبان عن أبي سعيد الخدري .
(٢) رواه أحمد عن أبي هريرة .

وقال ﷺ : « إِذَا أَحبَّ اللهُ عَبْداً رَزَقَهُ خَلِيْلاً صَالِحاً ، إِذَا ذَكَرَ اللهَ أَعَانَهُ ، وإِذا نَسِيَ اللهَ ذَكَّرَهُ »[1] .

وسأل الصحابة يوماً فقالوا: يا رسول الله مَنْ هو خير جلسائنا؟ فقال : « خَيْرُ جُلَسَائِكُمْ مَنْ تُذَكِّرُكُمْ باللهِ رُؤْيَتُهُ ، وَيَزِيْدُ في عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِالآخِرَةِ عَمَلُهُ »[2] .

وجاء أيضاً عنه ﷺ : « مَثَلُ الجَلِيْسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيْسِ السُّوْءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيْرِ :

فَحَامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يَحْذِيَكَ[3] ، وإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيْحاً طَيِّبَةً .

وَنَافِخُ الكِيْرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيْحاً مُنْتِنَةً »[4] .

إنَّ الصاحب ساحب ، إما إلى الحق وإما إلى الباطل ، والذي يجالس يجانس ، والقرآن الكريم قد أمر بترك الصحبة الفاسدة التي تخوض في الباطل ، وتحرض على المعصية والفساد ، بل وأمر بالإنكار عليهم ، أو القيام وترك مجالستهم ،

---

(١) رواه أبو داود عن عائشة بلفظ : « إذا أراد الله بالأمير خيراً . . . » .
(٢) رواه أبو يعلى عن ابن عباس .
(٣) يعطيك .
(٤) رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري .

وهذا يتجلى بوضوح في قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء : ١٤٠] .

إنَّ الأجساد إذا اجتمعت فتحت القلوب أبوابها ، وغالباً ما يتجانس بعضها مع بعض إذا جمعتهم ألفة ومودة على الحق كانت أو على الباطل ، ولكنَّ شؤم الصحبة الفاسدة سينقلب يوم القيامة إلى عداوة وخصام ، وكلٌ منهم يلقي تبعةَ ضلاله على غيره لينجوَ بنفسه : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف : ٦٧] .

إنَّ الإنسان في حياته يصطدم بأحوال شديدة وأليمة ، وربما يقف أمامها مشلولَ العقل عن التفكير ، ويصعب عليه اتخاذ قرار ، وفي هذا المقام يكون أحوج ما يكون إلى مشورة أخ ناصح ، وصديق أمين ، ليفضي إليه بسره ، ويستأنس برأيه ، ويلتمس منه العون بالرأي والفكر ، ليخرج مما هو فيه ، وإذا كانت صحبة الرجل حوله سيئة ، فإنها ستشير عليه بالضلال ، وتدله على طريق الحرام ، ليفرّج عن نفسه ـ حسب زعمه ـ ما هو فيه من ضيق وعناء ، ومن هنا تزداد شقة الخلاف بين الرجل وزوجته ، وإذا كان الفرق بينهما خطوة واحدة فإنها ستصبح خطوات بعد مشورة أهل السوء ، وهذا كله مما يعمّق جذور الخلاف ، ويجعل الحل لأي إشكال بعيدَ المنال .

إذن ما هي الثمار المرة التي يجنيها الرجل من صحبة السوء هذه ؟

١ ـ تعميق جذور الخلاف ، وتضخيم المشكلات ، ووأد الأمل في الإصلاح .

٢ ـ فتح باب الحرام ، واتخاذ المعاصي ذريعة لتسكين آلام الخلاف .

٣ ـ الحرمان من صواب الرأي ، وإخلاص النصيحة ، وحسن المشورة ، وسداد الفكر .

٤ ـ غضب الله ، والتعرض لبطشه وعقابه .

٥ ـ استحواذ الشيطان على القلب ، وفتح الباب له ليدير دفة الجوارح إلى الباطل .

ومما يُروى في الأثر أنَّ عيسى ابن مريم عليه السلام كان يمشي يوماً ومعه الحواريون ، فمروا على يهود ، فقالوا له شراً ، فقال لهم خيراً ، فقال له الحواريون : يا نبي الله ! قالوا لك شراً وتقول لهم خيراً ؟ فقال لهم : نعم ، كلٌ ينفق مما عنده .

نعم فكل إناء بالذي فيه ينضح ، والطيور على أشكالها تقع .

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى : ٣٨] .

* * *

٥ ـ قرينات السوء حول المرأة

بعض النساء فاشلات في حياتهن ، وقد تحطَّمت أسرهن لفساد سلوكهن ، وتمردهن على أزواجهن ، فإذا وجدن امرأة ناجحة في حياتها ، تحب زوجها ، وتعتني بواجباتها الأسرية ، فالنوازع البشرية هنا تحرك الغيرة في قلوب هؤلاء المحطمات تجاه الناجحات الموفقات ، فتأتي هذه الفاشلة لتغرسَ في قلب المرأة الناجحة بغض الزوج ، وكره الرجال كجنس عام ، وذلك بطريق ماكر ، ومسلك شيطاني .

عجيب كيف يكون هذا ؟

إنها تبدي شكوتها من زوجها ، وسوء أفعاله وخباياه ، ثم تعمم هذا النموذج السيء على كافة الرجال ، وتضعهم جميعاً في سلة واحدة ، وهذا السم القاتل وتلك الشكوى المرة التي ظاهرها تعبير عن ظلم وقع ، بينما باطنها زرع الشك في قلب المرأة الناجحة تجاه زوجها ، وذلك مما سمعته عن رجال فقدوا صوابهم وعقولهم ، وهذا الشك هو مدخل الشيطان إلى قلبها ، حتى ينزع منه حبها واحترامها ووقارها لزوجها ، ويغرس فيه الأوهام ، والهواجس الشيطانية ، ويزيل منه الثقة العميقة التي تربط بينهما ، ويكسر جسور الحب والتفاهم بينهما ، وذلك كله هو ذريعة

الخلاف بينهما ، وانقلاب الحياة إلى جحيم لا يطاق ، تملؤها الشكوك والهواجس والأوهام .

لذلك قال ﷺ : « مَلْعُوْنٌ مَنْ خَبَّبَ امرأةً على زَوْجِهَا »[1] .

ومعنى (خبب) : أي بغّض وكرّه وعصّى ، وهذا غالباً لا يكون من الرجال ، لأن المرأة في الإسلام لا تخالطهم ، إذن فمن أين تأتي هذه التعصية وذلك التحريض بالخراب والدمار ؟؟ حتماً سيكون من نسوة قد فسدت قلوبهن وحياتهن .

إن المرأة لها أثر كبير على المرأة ، ولا يفسد المرأة إلا امرأة فاسدة ، وكذلك في جانب الهداية والإصلاح ، فالمرأة لها أكبر الأثر على غيرها من النساء ، وذلك لطبيعة قربهن من بعضهن ، وكثرة اجتماعهن في مواطن عديدة ومناسبات كثيرة .

ومن هنا وجب الحذر من قرينات السوء اللاتي يتظاهرن بالنصيحة والتعاطف والمؤازرة ، بينما في الحقيقة يضمرن الغل والكيد والحسد ، ولا يجدن الراحة في رؤية امرأة سعيدة مع زوجها ، تحبه ويحبها ، وتحترمه ويحترمها ، وتحفظ مشاعره ويحفظ مشاعرها .

والمرأة الصالحة عليها أن تنتقي صويحباتها ، ولا تفضي بأسرار بيتها لأيٍّ واحدة منهن ، مهما بلغت في تقواها وورعها ،

---

(١) رواه أبو داود والنسائي وابن حبان عن أبي هريرة .

فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، والقلوب تتقلب ، والنفوس تتغير ، وإذا أرادت الرأي والمشورة والنصيحة فالسبيل إلى ذلك هو أولياء أمورها ، من أب وجد وأخ وعم وخال ، أو تسأل العلماء الصالحين من أهل التقوى والورع ، فيشيرون عليها بالسواء والصواب .

إن من أكبر أسباب الحفاظة والنجاة من مكايد الشيطان هو ترك المشورة مع النساء فيما يتعلق بخلافات البيوت ، ومشاكل الأسرة ، وإنما المشوزة فقط مع العلماء أو أولياء الأمور من الرجال ، فهنا يكون صواب الرأي ، وصحة المشورة ، ولا حرج عليها أن تستعينَ برأي أمها ، وذلك لأنَّ صلة الحب والأمومة تجعل رأي الأم يتجه نحو مصلحة ابنتها ، والخروج بها من مآزق الخلاف .

* * *

٦ ـ هجر الرجل لمجالس العلم والإيمان

الذي يمكث طيلة وقته بين أسرته دون أن يخالط العلماء ، أو يفرّغ وقتاً ليحضر فيه مجالس العلم والإيمان ، فمن أين يأتي بالقيم الصالحة والصفات الإيمانية التي يعطيها لرعيته ؟

إن فاقد الشيء لا يعطيه ، والقلب يزداد نوره ؛ والعقل تتسع مداركه ؛ والصدر يزداد انشراحه ؛ بمخالطة الصالحين في بيئة الصلاح ، حيث الطهر والعلم والتزكية والتربية . وهجر هذه البيئة يفسد القلب ويُظلمه ، ومن ثَمَّ ينحرف السلوك ، ويسوء الخلق . فالقلب كالشجرة في الأرض من تركها بلا جهد تفسد ، ولا يأتي منها ثمر ، وأما من أراد أن يجني منها الأزهار والثمار فلا بد له من جهد عليها حتى تورق بالخير ، وتخرج ما فيها من العطاء .

وهجر الرجل مجالس العلم يتسبب في كثرة الخلافات الزوجية وتعميقها واستفحالها ، فكيف يكون هذا ؟

١ ـ إذا حدثت أمور في الحياة الزوجية تقتضي النصيحة والإرشاد والتوجيه فهنا المفترض أن قائد الأسرة هو الذي يعلّمها ويوجهها ، ويقود دفتها إلى بر الأمان . فإذا كان جاهلاً خالي الوفاض ، لا يخالط العلماء ، ولا يعرف حدود الشرع ، ولم

يتعلّم الحكمة في معالجة الأمور ، ولا يدري ما هو الحلال من الحرام ، أو الخطأ من الصواب ، فكيف حينئذ سيرشد هذه الأسرة ؟ وما الذي تعلمه حتى يسديه لزوجته وأولاده ؟؟ إنه حتماً سيفيء إلى عقله يستفتيه عما هو واقع فيه ، والعقل دون نور الوحي من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ يتخبط في الظلام ، ولا يأوي إلى رأي سديد ، ومن هنا يكون فساد الرأي ، ويتبعه فساد الحال ، وهذا هو سبب الخلاف الذي يهدم الأسرة نتيجة التخبط في الجهل والعمى .

وكم من البيوت انهارت نتيجة جهل رب الأسرة بالحدود الشرعية ، أو جهله الحكمة في وضع الحلول ، وإيجاد المخرج ، وهذا كله نتيجة هجره لبيئة التقوى ، وهو يظن أنه يُحسن عملاً .

٢ ـ بيئة التقوى لها أثر كبير في تقويم السلوك وإصلاح النفس ، والذي يهجر هذه البيئة ينقلب إلى أحد شخصين :

أ ـ إما غليظ الطبع ، سيء الخلق ، جلف المشاعر ، متبلد الحس ، لا يشعر إلا بنفسه ، ولا علاقة له بمن حوله ، أدواته في علاج الأمور هي : العنف والبطش والقهر .

ب ـ وإما عنصر مشلول سلبي ، يكون أشبه بقطعة الأثاث في البيت ، لا يحرك ساكناً ، ولا ينتفع بوجوده أهلُ البيت ، وكأن وجوده وعدمه سواء .

ومما يؤكد على أهمية البيئة أمر الله تعالى لنبيه ﷺ بالصبر

على مجالس الإيمان ، وصحبة أهل الخير ، ويتجلى ذلك بوضوح في قوله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف : ٢٨] .

وكذلك قول النبي ﷺ : « يُؤْتَىٰ يَوْمَ القِيَامَةِ بأُناسٍ وُجُوْهُهُمْ مِنْ نُوْرٍ ، وعَلىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُوْرٍ ، يَغْبِطُهُمُ الأَنبياءُ والشُّهداءُ لمكانَتِهِمْ مِنَ اللهِ ، ولَيْسُوا بأنبياءَ ولا شهداءَ » .

فَجَثَىٰ أعرابي على ركبتيه وقال : حلِّهم[1] لنا يا رسول الله نعرفهم ؟

قال : « هُمْ قومٌ مِنْ قبائلَ شَتَّىٰ ، اجْتَمَعُوْا على غيرِ ذاتِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ ، اجْتَمَعُوْا علىٰ ذِكْرِ اللهِ يَذْكُرُوْنَهُ »[2] .

* * *

---

(١) صفهم لنا .

(٢) رواه الطبراني عن أبي الدرداء .

٧ ـ سوء فهم الرجل والمرأة لمعنى القوامة

قال الله تعالى : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [النساء : ٣٤] القوامة يفهمها الكثير من الناس على غير معناها ، فما هو فهم هؤلاء عن القوامة ؟؟

أ ـ **فهم الرجل للقوامة** : كثير من الرجال يفهم القوامة على أنها السيطرة والاستعلاء ، وإصدار الأوامر ، والنظرة الممتهنة للمرأة ، كأنها خادمة أو جارية يستمتع بها لقضاء شهوته ، وراحة بدنه ، وشهية معدته ، ولا يعدها بشراً له عقل وروح وقلب وعاطفة .

ب ـ **فهم المرأة للقوامة** : كثير من النساء يفهمن القوامة على أنها التحكم في النفس والقهر والاستعباد والإذلال ، وامتهان الكرامة ، وسلب الحقوق ، وتبلد العقل ، والانقياد الأعمى للرجل ، وإلغاء الفكر والرأي مما يصيبها بالعقم الفكري ، ويعيدها إلى عصر الجواري اللاتي يُعرضن في سوق الرقيق .

وكلا الفهمين عقيم وخاطىء ، ويدل على جهل فاضح لمعنى القوامة ومقاصد الشريعة السمحة الغراء .

* إذن فما هي **القوامة الشرعية** ؟

القوامة الشرعية : **هي تحمل الراعي المسؤولية تجاه رعيته ، من حيث هو قيم على شؤونها وحاجاتها** ، فالرجل هو قائد الأسرة ، والمعلم الموجه لها إلى كل خير وبر ومعروف .

وهذه المسؤولية بهذا المعنى لها شقان :

١ ـ شق مادي : من الطعام والمسكن والملبس والنفقة .

٢ ـ وشق إيماني : وهو التربية والتوجيه والتأديب والتعليم والإرشاد بالحكمة واللين والموعظة الحسنة ، وهذا كله يندرج تحت تزكية النفس وتهذيبها .

وإلى هذا المعنى العميق بشقيه أشارت هذه الأحاديث :

الأول : قال ﷺ : « كُلُّكُمْ راعٍ ، وكُلُّكُمْ مَسْؤُوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فالرَّجُلُ راعٍ في أَهْلِ بَيْتِهِ ، وهُوَ مَسْؤُوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، والمَرْأَةُ راعِيَةٌ في بَيْتِهَا ؛ وهيَ مَسْؤُوْلَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، والخَادِمُ راعٍ في مالِ سَيِّدِهِ ، وَهُوَ مَسْؤُوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وكُلُّكُمْ راعٍ ، ومَسْؤُوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ »[١] .

الثاني : قال ﷺ : « كَفَىٰ بالمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوْتُ »[٢] .

---

(١) متفق عليه عن ابن عمر .

(٢) رواه أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

الثالث : قال ﷺ حينما سأله معاوية بن حيدة رضي الله عنه : يا رسول الله ! ما حق زوجة أحدنا عليه ؟

قال : « أَنْ تُطْعِمَهَا إذا طَعِمْتَ ، وتَكْسُوْهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ ، وَلا تَضْرِبِ الوَجْهَ ، ولا تُقَبِّحْ ، ولا تَهْجُرْ إلَّا في البَيْتِ »[1] .

وغير ذلك من النصوص الكثيرة التي تفسر وتشرح معنى القوامة الشرعية بما لا يدع مجالًا لالتباس الفهم ، أو الحيرة في استجلاء الحقيقة .

وأما هذا الشطط في الفهم والاعوجاج في فهم معنى القوامة لدى الكثيرين ، إنما هو من فعل شياطين الإنس ، الذين فطموا على موائد الغرب ، ويريدون تشويه المنهج الإسلامي بكل وسيلة ، ولكن هيهات ، فالله من ورائهم محيط .

إنَّ انحراف بعض المسلمين لا يعني فساد المنهج ، وفساد الحياة واضطرابها سببه ضياع الدين ، أو سوء فهمه وتطبيقه ، وهذا ثمرة متوقعة للجهل بمعاني الشريعة ، فمن عرف الإسلام في طهره ونقائه وسماحته وعمق تشريعاته حتماً سيحبه ويعيشه منهجاً واقعاً ، ويدعو إليه ليهيمن على الحياة كلها .

ومن هنا يظهر أنَّ سوء الفهم لمعنى القوامة عند الرجال والنساء من أكبر بواعث الخلاف داخل الأسرة ، حيث يجعل كلاًّ

---

(١) رواه أبو داود عن معاوية بن حيدة .

منهما عدواً للآخر ، يتربص به الدوائر ، وتصبح الحياة الزوجية ساحة حرب ، وميدان قتال ، بدلًا من أن تكون واحة حب ، وروضة سلام ووئام..

وهذه أيضاً وصايا القرآن الكريم في عدة مواضع تؤكد على معنى القوامة بشقيها :

١ ـ قال تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه : ١٣٢] .

٢ ـ وقال تعالى : ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ[1] وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

٣ ـ وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوٓا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم : ٦] .

كم من أعداء الأمة دخلوا من ثغرة القوامة ، ليثيروا حفيظة المرأة ، ويوغروا صدرها تجاه الرجل ، حتى إذا بُلغت وسمعت هذا الخلط المتعمد من سوء الفهم ، هيئت نفسها لمعركة وهمية تخوضها ضد الرجل ، وتصبح الحياة صراعاً مصطنعاً لا دواعي له ، وإنما هو من صنع أعدائنا ليعكروا صفو حياتنا .

فالمرأة في الإسلام لها مكانتها ، لأنها الأم والأخت والزوجة والابنة ، وهي في كل هذه الصور إنما هي الحبيبة إلى قلب

---

(١) أي : على الوالد .

الرجل ، فهل وجدنا أحداً بفطرته السوية المستقيمة يكره أمه أو أخته أو زوجته أو ابنته ؟

إن قمة احترام المرأة لنفسها حينما تحترم زوجها وتطيعه وتشاركه في حمل الأمانة ، فهي تحظى بقلبه وعاطفته ، ومن ثَمَّ يعطيها فوق حقوقها المشروعة ، مدفوعاً بحبه لها ، واعترافاً منه بالجميل نحوها .

يا قومنا ! إن القوانين لا تبنى عاطفة ، ولا تنبت حباً ، ولا تزرع في القلوب مودة ، إنما الإيمان وحده هو الذي يدفع صاحبه لأداء واجباته ، وأما حقوقه فيطلبها من ربه حتى لو جحدها المخلوقون ، فهي مدخرة عند الخالق لا تضيع .

* * *

٨ ـ فتنة المال بالزيادة أو النقصان

إن فتنة المال سواء بالزيادة أو النقصان كثيراً ما تكون منعطفاً خطيراً لانحراف الأسرة ، ونشوء الخلاف بين أفرادها ، فعند زيادة المال تُصاب النفس بالشره والطمع والجشع ، وهذا يدعو كل طرف إلى النظر لما بيد غيره ، فتخف المودة حينئذ ، وتصبح العلاقة مبنية على المصالح ، وليس على التراحم المذكور في الآية : ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم : ٢١] .

وعند نقصان المال يكون الجزع والقنوط واليأس ، وربما الانحراف ، سواء للزوج بتحصيل المال الحرام لقضاء حوائج أسرته ، أو للزوجة لسد احتياجاتها وضرورة بيتها .

فما هو المخرج أمام فتنة المال حال الزيادة وحال النقصان ؟

أ ـ حال زيادة المال :

١ ـ عدم تغيير المألوف من العادات ، **وترك الترف ، والرضى بالتوسط ، والاعتدال في الحياة التي لا غلو فيها ولا تقصير .**

٢ ـ الصدقة والتوسعة على الفقراء ، وخاصة الأقارب وذوو الأرحام .

٣ ـ **تحري الحلال وترك الشبهات** ، وعدم الغرور بكثرة المال من أي طريق .

ب ـ حال النقصان :

١ ـ اليقين من سرعة الفرج ، وتبدل العسر والشدة يسراً وسعة ، فدوام الحال من المحال .

٢ ـ التذرع بالصبر ، والتوجه إلى الله بالأعمال الصالحة ، وخاصة الاستغفار والدعاء .

٣ ـ رؤية هذا الابتلاء من الله للاختبار ، وترك الشكوى للمخلوقين .

كم من الأنبياء والصحابة والصالحين والعلماء الأتقياء كانت حياتهم بسيطة ، وبيوتهم متواضعة ، وطعامهم قليل ، ولكن أوقاتهم كانت غنية بطاعة الله ، ثرية بالهمم العالية في السعي إلى مرضاته ورضوانه ، فلم يكن الفقر ذريعة للخلاف والشقاق .

وكذلك إذا جاءتهم الدنيا من كل طريق ، وزادت في أيديهم الأموال ، فلم يدب بينهم الطمع والخلاف على اقتسام هذه الأموال ، بل كانوا ينفقون ليخرجوا حب المال من القلوب ، فهكذا يكون سد الذرائع أمام الفتن ، وإغلاق الأبواب أمام عواصف الخلافات ورياح الخصومات .

ومما يؤكد هذا الفهم ذلك الحديث الذي يقول فيه النبي ﷺ : « عَجَباً لأَمْرِ المُؤْمِنِ إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ ، إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ

شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ ، وإنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ »[1] .

وقال أيضاً ﷺ : « نِعْمَ المَالُ الصَّالِحُ للرَّجُلِ الصَّالِحِ »[2] .

وحينما جاءت الأموال من البحرين وبعد صلاة الفجر وقف الصحابة ينتظرون ، فلما رآهم النبي ﷺ قال لهم : « والله ِما الفقرَ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ ، ولكنْ أَخشِىٰ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أنْ تَنَافَسُوْهَا كَمَا تَنَافَسَهَا مَنْ كَانُوْا قَبْلَكُمْ ، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ »[3] .

الله يبتلي بالفقر ، ويبتلى بالغنىٰ ، والمؤمن حال البلاء ينظر للمبتلي وليس للبلاء ، وحال النعمة ينظر للمنعم وليس للنعمة ، وهذا يجعله في مأمنٍ من الزلل والشتات .

* * *

---

(١) رواه مسلم عن صهيب .

(٢) رواه البخاري .

(٣) متفق عليه عن عمرو بن عوف الأنصاري .

٩ ـ الفراغ

النفس الفارغة من المقاصد العظيمة والهمم العالية تبحث عمَّا يشغلها من سفاسف الأمور ، وتبدأ في الشجار ، وافتعال الخصومات ، التي تشغل بها وقتها ، وتقضي فيه ساعاتها ، وتفرِّغ فيه طاقاتها .

إنَّ الفراغ هو الباب إلى المعاصي والغفلة والمشاكسة ، فالله خلق الجوارح لتعمل ، فإذا لم يكن هناك عمل مفيد يستهلك وقت الزوج والزوجة ، فسيغري الشيطان كلاً منهما بالآخر ، ليفتعل معه معركة وهمية ، يستهلك بها الوقت والطاقة .

لذلك قال النبي ﷺ : « نِعْمَتَانِ مَغْبُوْنٌ فِيهِمَا كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ : الصِّحَةُ والفَرَاغُ »[١] .

وقال أيضاً : « كُنْ في الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيْبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيْلٍ »[٢] وكان ابن عمر يقول : إذا أصبحتَ فلا تنتظرِ المساءَ ، وإذا أمسيتَ فلا تنتظرِ الصباحَ ، وخذ من صحَّتِك لمرضِك ، ومن حياتِكَ لموتِكَ .

---

(١) رواه البخاري عن ابن عباس .

(٢) رواه البخاري عن ابن عمر .

ومما يؤثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله : إن الله خلق الأيدي لتعمل ، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمسَت في المعصية أعمالاً .

كما أن الفراغ يفوّت فرصة الطاعات والأعمال الصالحة التي تقبل بقلب صاحبها على الله ، وهذا مما يفتح الباب للشيطان ، فيشغل الإنسان بما لا يفيده ولا ينفعه ، وإذا دخل الشيطان إلى البيت فماذا يُنتظر من نتائج ؟

قال ﷺ : « البَيْتُ الذي يُذْكَرُ اللهُ فِيْهِ يَكْثُرُ خَيْرُهُ ، وَيَقِلُّ شَرُّهُ ، ويَوُسَّعُ عَلىٰ أَهْلِهِ فِيْهِ . والبَيْتُ الَّذي لا يُذْكَرُ اللهُ فِيْهِ ، يَقِلُّ خَيْرُهُ ، ويَكْثُرُ شَرُّهُ ، ويَضيَّقُ عَلىٰ أَهْلِهِ »[1] .

إنَّ الفراغ يلقي في النفس إحساساً بالتفاهة والضياع ، ويشعر صاحبه أنه بلا قيمة في الحياة ، ويرى ذاته ذاتاً ميتة ، لا تؤثر في الحياة ولا تتأثر بها ، وهذا الشعور بالنقص يجعل صاحبه يسعى جاهداً لتكميله ، فلا يرى أمامه من الحلول إلا أن يلفت أنظار من حوله إليه ، ليكسب ودهم وعطفهم ، أو ليستميل نظرهم إليه ، واهتمامهم به ، ومن هنا يجد الشيطان فرصة ثمينة ليملأ هذا النقص بالخصام والشقاق والعراك ، الذي يبدد هذا الفراغ ، ويملأه بما يلهي النفس عن حالة الصمت والكبت التي تعيشها

---

(١) رواه البزار عن أنس .

ليشعر أنَّه حي يتأثر ويؤثر فيمن حوله .

ومن هنا نجد حرص الشريعة على شغل جميع الأوقات بالطاعات ، حتى لا تصبح في حياة المسلم ساعة واحدة فارغة ، وذلك نتيجته سد الأبواب أمام الشيطان ، فلا يجد فرصة ليأكل بها الأوقات ، أو يعربد في حياة المسلم أو المسلمة .

فالمسلم في عبادة وصلاة ، أو ذكر وتعلم ، أو زيارة مسلم ، أو عيادة مريض ، أو خدمة أهله وبر أبويه ، أو تفقد مصالح عياله ، والسعي على معاشه ، أو المشاركة مع الآخرين في أحزانهم وأفراحهم ، فهذه الحياة تشكل حلقة مغلقة من الخير ، تستوعب جميع ساعات العمر بل وزيادة ، حتى قال بعضهم : الواجبات أكثر من الأوقات . ولو أفرغنا عمرنا كله في الطاعة لنفد العمر ، وما نفدت الطاعة .

* * *

١٠ ـ السحر والحسد

أ ـ السحر :

السحر كبيرة من الكبائر ، يسري ضرره في الأمة كالسم في الجسد ، فهو إرادة خارجية تؤثر على قلب أحد الزوجين أو كلاهما تجاه الآخر ، مما ينتج عنه الكره والبغض والنفور ، وتستمر هذه المشاعر مسيطرة على السلوك حتى تنتهي بالفراق والطلاق : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

والساحر يفسد في ساعة واحدة ما لا يفسده الشيطان في دهر ، وكثيراً ما تكون بواعث الخلافات الزوجية نتيجة للسحر .

والسؤال هو : هل كلُّ خلاف زوجي يكون سببه السحر ، أم أن للسحر علامات تدل عليه حتى لا يتعجل أيٌّ من الطرفين باتخاذ قرار الفراق ، ثم يعض بعد ذلك أصابع الندم ، ويتحسر على العجلة في أمر كان ينبغي التأني فيه ؟

ليس كل خلاف زوجي نتيجة للسحر ، وإنما للسحر علامات منها :

١ ـ رؤية كل طرف للآخر في صورة قبيحة ، وهيئة منفرة .

٢ ـ ضيق الصدر عند اللقاء بلا أسباب منطقية تدعو إلى الضيق .

٣ ـ برود العاطفة ، وخمود الشهوة ، وزوال الرغبة في الطرف الآخر ، بينما تزداد هذه الرغبة عند الافتراق ولقاء الآخرين .

٤ ـ رؤية خيالات مفزعة ، ويسمونه سحر التخييل ، حتى يهيأ للإنسان رؤية أشياء وهمية لا حقيقة لها ، أو يتخيل صوراً لا حقيقة لها .

٥ ـ الرغبة الشديدة في الفراق بلا سبب .

٦ ـ عدم الانتصاب عند الرجل ، وهو ما يسمونه الربط .

٧ ـ كثرة الحيض في غير أوانه ، ولا سيما عند اقتراب الزوج من زوجته ، وهو ما يسمونه سحر الاستحاضة .

فهذه بعض المؤشرات التي تدل على وجود قوى خفية تريد فصمَ عرى الزوجية ، وغالباً ما تكون دوافع السحر هي الغيرة أو الانتقام أو الكراهية .

والسحر كله شر ، وهو من الشيطان ، وقد جاء النهي عن تعلُّمه وتعليمه ، لأن الشيطان يحب الحرام ، ويكره الحلال ، فهو يسعى مستميتاً لإفشال أي زواج ، وتعسيره وتعطيله ، وإذا لم

ينجح في هذا ، فسيحاول تدميره وإفشاله بعد تمامه ، ومراده من ذلك كله هدم الأسرة ، وفتح أبواب الحرام .

كيف يعالَج السحر ؟

هناك الطرق الشرعية التي تغنينا عن الدجل والشعوذة ، فلا نستعين بساحر ولا بكاهن ، وإلا وقعنا في ذنب آخر أشدَّ منه ، حيث قال ﷺ : « مَنْ أَتىٰ كاهِناً أَوْ عَرَّافاً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُوْلُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ على مُحَمَّدٍ »[1] .

وقال أيضاً : « اتَّقُوْا السَّبْعَ المُوْبِقَاتِ : ..... وذكر منهنَّ السِّحْر »[2] .

وعلاج فك السحر والربط كالآتي :

١ ـ يأتي بسبع ورقات من سدر ـ شجر النبق ـ ويطحنهنَّ ، ويضعهنَّ في ماء طاهر .

٢ ـ يقرأ على هذا الماء هذه الآيات :

أ ـ قوله تعالى : ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [الأعراف : ١١٨ ـ ١٢٢] .

ب ـ قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) رواه أحمد عن أبي هريرة .

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة .

سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس : ٨١ ـ ٨٢] .

ج ـ قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه : ٦٩] .

٣ ـ يشرب المسحور من هذا الماء ثلاث مرات ، ويغتسل بالماء الباقي في مكان طاهر ، ثم يلقي الماء المتبقي من الغسل تحت شجرة أو على جدار أو سقف بيت .

وقبل نومه يقرأ آية الكرسي والمعوّذات ، وينوي التوبة من الذنوب ، ويحافظ على الفرائض ومجالس العلم ، فيبرأ بإذن الله تعالى .

٢ً ـ الحسد :

الحسد هو تمني زوال النعمة عن الغير ، وهو داء يدل على فساد النفس ، وخبث معدنها ، وسوء طويتها ، وأول معصية وقعت هي حسد إبليس لآدم ، ثم حسد قابيل لأخيه هابيل .

وإذا كانت العين حق ، فربما تسبب المرءُ في حسد نفسه ، وإصابته بالعين الشريرة دون أن يدري ، فكيف يكون هذا ؟

أحياناً يجلس الرجل وسط أصدقائه ، أو المرأة وسط صديقاتها ، فيتكلَّم كلٌّ منهم عن عواطفه الغزيرة تجاه زوجتِه ، وكيفية انسجام الطبيعة بينهما ، وتدفق المشاعر الطيبة من قلبيهما ، ثم يبالغ في الوصف والبيان ، ويستطرد في كشف

التفاصيل ، ويكشف النقاب عن خبايا البيوت ، وأسرار العلاقة بينهما ، فربما يوجد وسْط السامعين من هو محروم من هذه المشاعر ، وفاقد لهذه العواطف ، ومشتاق إلى تلك المحبة ، ولكنه لا يجد بعضها في الطرف الآخر ، فيدب الحسد في قلبه تجاه من يسمعه ، وربما انقلبت القوة الغضبية فيه إلى حسد وعين حاقدة شريرة ، فإذا بهذا السعيد يصير تعيساً ، وإذا بهذه العواطف والمشاعر الطيبة تنقلب إلى جفوة وبغض وعداوة، وإذا بهذا البيت الهادىء المستقر يصبح خراباً ودماراً ، وإذا بهذه الحياة المطمئنة تصبح حياة مضطربة ، ثم ينتهي المطاف بالأمر أيضاً إلى الفراق .

فما هو السر وراء هذه النتيجة المؤلمة ؟

إنه الشخص نفسه الذي بالغ في الحديث عن نفسه ومشاعره ، واستطرد في الحديث عن سعادته وراحته حتى أصابه ما أصابه من المكر والسوء .

وما هو علاج الحسد ؟

إنه يسير وسهل على من يسَّره الله عليه ، قبل النوم يجمع كفيه ، وينفث فيهما ثلاثاً ، ويقرأ سورة الإخلاص والمعوّذتين ، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات ، فإنه لا يصيبه شر أبداً من حاسد ولا من ساحر ، وهذه سنة النبي ﷺ عند نومه .

* * *




الباب الثاني

ماذا تفعل الزوجة عند انحراف الزوج ؟

١ ـ الاستقامة على الدين .

٢ ـ عدم تقويض أركان البيت .

٣ ـ كيفية السعي في إصلاح الزوج ؟

٤ ـ الدعاء له بالهداية .




١ ـ الاستقامة على الدين

لا ينبغي أن تعلِّق المرأة إيمانها بإيمان زوجها ، فإذا استقام استقامت ، وإذا انحرف انحرفت ، فهنا يجب أن تنفصل التبعية والموالاة ، ولا يصبح المرء إمعة ليس له رأي ولا منهج ، بل المفروض عليها شرعاً إذا استقام الزوج أن تعينه وتتابعه ، وتشد من أزره ، وتنافسه في الطاعات ، فمن صفات المرأة الصالحة أن تعين زوجها على أمر دينه ودنياه ، وكذلك رغّبنا ربنا في التنافس في ميادين الطاعات ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين : ٢٦] .

أما إذا انحرف الزوج ، ووقع في وحل المعصية ، فلا ينبغي لها هي الأخرى أن تخلع الدين من ربقتها ، وتنقض عهدها مع الله في طاعته ، لأنها حينما تستقيم وتطيع لا تفعل هذا إرضاءً لزوجها ، بل إرضاءً لربها ، ولا تلتمس الأجر والمثوبة من زوجها ، بل تلتمسه من ربها ، إذن فلا ينبغي أن يكون انحراف زوجها ذريعة إلى انحرافها ، ولا مبرراً تبرر به عصيانها ، فهي أولًا وآخراً تعبد الله ، ولا تعبد سواه ، وتتقرب إليه لتنال رضاه ، ولا تتقرب لغيره مهما كانت منزلته عندها ، وقربه منها .

وهذا منعطف خطير تقع فيه كثير من النسوة عند انحراف

أزواجهن ، وهو ميدان واسع للشيطان يصول فيه ويجول ، ليهدم قيم الحياة كلها عند المرأة ، لأنها ترى في زوجها قدوتها إلى الفضائل ، ورمزاً تحتذي به في المكارم والمحاسن .

والاستقامة على الدين ؛ والاعتصام بالمنهج خاصة عند انحراف الزوج ، له فوائد عديدة ، منها :

١ - استشعار معنى الإخلاص ، وصدق العبودية لله تعالى ، حيث إنها لا تترك من دينها ذرة حتى لو تركه زوجها كله .

٢ - تحقيق معنى المسؤولية الفردية ، فنحن يوم القيامة سنحاسَب وحدنا ، ولا يحامي أحد عن أحد ، ولا يشفع لأحد إلا من بعد إذن ربه ، فالعلاقات الدنيوية علاقات مؤقتة ، مرهونة برحلة الحياة ، ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠١] .

وتبقى علاقة واحدة وهي علاقة رب وعبد ، ولا وسيط بينهما ولا ترجمان .

٣ - فتح باب التوبة والرجوع أمام الزوج ، فإذا رأى استقامة زوجته ، وعدم تفريطها في الحق رغم تنازله هو عنه ، وانخراطه في سلك العصاة المفرطين ، فلعل ذلك يصيبه بالحياء والندم ، ويجعله يراجع نفسه ، ويطالبها بالعودة إلى رشدها ، والابتعاد بها عن غيِّها وضلالها .

وفي القرآن الكريم مثال مشرق منير لامرأة صالحة ، قد

انحرف زوجها ، وتمادى في ضلاله وعناده ، ولكنها لم تمش في ركابه ، ولم تطاوعه في غيّه وفساده، هذه هي آسية امرأة فرعون ، التي أشرق قلبها بنور الإيمان ، وذاقت حلاوة اليقين ، وتحملت مرارة العذاب والحرمان ، وضحَّت بحياة الترف والقصور والشهوات ، وزهدت في الزينة والمتاع ، ورحلت بأشواقها إلى النعيم المقيم في مقعد صدق عند مليك مقتدر : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التحريم : ١١] .

وهناك نموذج آخر لصحابية جليلة ، هدى الله قلبها للإسلام ، وزوجها مصرٌّ على الكفر والضلال ، ولكنَّها ما جعلت كفره وسيلة لانفلات زمامها ، والتنازل عن دينها ، هذه هي أم حكيم زوجة عكرمة بن أبي جهل . حينما علمت أن زوجها هرب من مكة قاصداً الحبشة سافرت إليه ، وتحملت مشقة السفر ووحشة الطريق ، وأدركته على ساحل البحر ، وهو يتجادل مع قبطان السفينة الذي ذهب هو الآخر يدعوه إلى الإسلام ، وهنا نادته زوجته ، وناشدته الرحم أن يرجع معها إلى المدينة ، ويسلم ، وقد أخذت له الأمان من رسول الله ﷺ ، فأقبل معها ، وأسلم ، وحسن إسلامه ، بل وقُتل شهيداً في معركة اليرموك .

وهناك أمثلة عديدة في واقع الحياة وماضيها لنسوة صالحات مؤمنات ، قد استقمن على الدين ، والتزمن بحدوده ، وظهر

إخلاصهن لربهن ، حيث أعطين الدليل على أنهن لم يتمسّكن بدينهن إرضاءً للزوج ، ولا رغبة في مال ومتاع ، وإنما فقط ابتغاء وجه الله ، ورغبة في نيل رحمته ورضاه .

* * *

وعلى الجانب الآخر فهناك أمثلة أخرى لنسوة قد انحرف أزواجهن ، فاتخذن ذلك ذريعة للانحراف ، والولوج إلى باب المعاصي والمخالفات ، وإذا رأت الواحدة منهن في زوجها خللاً أو تقصيراً تقول له غاضبة : هذا هو الحجاب قد خلعته ، ولن أصلي بعد اليوم صلاة ، وسأفعل ما يحلو لي ، ولا أحد يسألني عما أقوم به بعد اليوم !! فهذا الانفلات الرهيب من عرى القيم ، والتنازل عن الحق ومبادئه في لمح البصر ، إنما كشف النقاب عن مكنون الصدر ، وهو أن الدين كان في حياتها صورة لا حقيقة ، وأنها كانت تتجمل به بين القوم ، وتستجدي به رضا زوجها ، وتحقيق مطالبه ونوال مآربها ، ولم يكن في الحقيقة التزامها بالدين تريد به وجه الله والدار الآخرة ، كما كشف عن الرياء والسمعة الذين هيمنا على سلوكها ، وذلك أنها مع أول خلاف تخلع الدين ، وتضحي به ، وكأنه في حياتها رخيص زهيد لا قيمة له ، وقد أسقطت من حسابها لقاء الله يوم الحساب .

إذن ما هي الثمرة المرة التي تجنيها المرأة لو لم تستقم على الدين عند انحراف زوجها .

١ ـ تعرضها لغضب ربها ، لانكشاف نواياها ، وإظهار ما في قلبها من التصنع والرياء .

٢ ـ دمار بيتها ، وفشلها في حياتها ، وحرمانها من التوفيق .

٣ ـ إغلاق الباب أمام زوجها للرجوع والعودة إلى صوابه ، لأنه حتى لو رجع لعاد إلى بيت محطم ، يحوط به الخراب من كل مكان ، فيرجع من حيث جاء ، ويزداد فساده وضلاله ، والضحية لهذا كله هو الأولاد الصغار ، الذين يقعون في التيه والحيرة حينما يفقدون المثل الأعلى للقيم في حياتهم متمثلاً في أمهم وأبيهم .

إن أول علاج لفساد الزوج وانحرافه إنما يبدأ من استقامة المرأة على دينها ، وعدم تفريطها فيه ، وهذا الدواء هو أنجع الأدوية لذلك الداء .

قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر : ٣٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم : ٩٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الإسراء : ١٥] .

وقال تعالى : ﴿ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء : ١٤] .

* * *

٢ ـ عدم تقويض أركان البيت

الزوجة في بيتها حاضنة ومربية لصغارها ، وإذا انحرف الزوج ، فهناك توجد ذرية تحتاج إلى عناية ورعاية ، وهنا يبرز دور المرأة التي انحرف زوجها في التحضين على هذه الأسرة ، لعله يعود يوماً عن نزوته وطيشه .

إن الأطفال أمانة في أعناقنا ، ولا يجب أن يكونوا ضحيةً لعبث الكبار أو خلافاتهم ، فما أشبه هؤلاء الصغار بزرع يشق الأرض ، فيحتاج إلى من يرعاه حتى تثبتَ جذوره في الأرض ، وتعلو ثماره في السماء ، فيؤتي أُكُلَه الطيبَ نماذج صالحة ، تسعد بهم الدنيا ، ويسعد بهم آباؤهم وأمهاتهم ، ويسعدون هم كذلك بما نالوه من توفيق وسداد في حياتهم ، ولذلك جعل القرآن الكريم خير ميراث للأبناء الصغار الضعاف هو تقوى الآباء واستقامتهم على الدين :

﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [النساء : ٩] .

وحينما تعصف الرياح بالبيوت الآمنة ، ولا سيما عند انحراف عائلها ، فلا ملجأ لتماسك هذا البيت من الانهيار إلا وجود المرأة الصالحة فيه ، لأنَّ انحراف الزوج يشبه موته ، ففي كلا الحالتين

هو غائب عن الحياة ، معدوم الوجود في واقع الأسرة ، رغم أن موته يكون أخفَّ وطأة من انحرافه ، حيث إن ذريته التي وراءه تجد من يعطف عليها ويؤازرها ؛ ويقف إلى جانبها عند موت عائلها ، أما إذا انحرف فإن أفراد الأسرة كلها تجني ثمرة انحرافه ؛ حيث ينفر الناس منهم ؛ ويتجنبون صحبتهم ؛ وينأون بأنفسهم وأولادهم عن مخالطتهم .

وماذا تفعل الزوجة لتحفظ بيتها من الانهيار ؟

١ ـ تدفع قالة السوء عن زوجها أمام أولادها بكل وسيلة ، وتتحدث عن محاسنه ، وتبث في قلوبهم وقاره واحترامه مهما سمعوا عنه عكس ما تقول ، وتلتمس العذر له ، وتحفظ مكانته في قلوبهم كمثل أعلى لهذه الأسرة . هذا وإلا انحرف الأولاد ، واستعصوا عليها ، فتفقدهم كما فقدت أباهم .

٢ ـ ترعى ذريتها رعاية تامة ، وتستعين بالله على ذلك ، ولا تشعرهم بوجود نقص أو خلل في حياتهم ، وتشغل نفسها وإياهم بمعالي الأمور ، ولا تدع للفراغ فرصة للبحث عن المشاكل والتنقيب عن الهموم والأحزان .

٣ ـ تستعين بربها بالذكر والدعاء والاستغفار ، ولا تلقي بهمومها على أهلها ، حتى تتفادى الصدام بينهم وبين زوجها ، وبذلك تقلل من شقة الخلاف ، وتحفظ البيت بعيداً عن شبح الهدم والانقسام .

وأعظم نموذج لهذا المقام أم حبيبة رضي الله عنها ، التي تنصَّر زوجها في الحبشة حينما هاجر معها إلى هناك ، فلم تفرِّط في دينها ، وحفظت ابنتها حتى تفضل اللهُ عليها ، واختارها زوجة لنبيه ﷺ وأماً للمؤمنين رضي الله عنها .

* * *

٣ ـ السعي في إصلاح الزوج

كل كسر ينجبر إذا كانت هناك الحكمة والأناة في إصلاحه ، وإذا كان البشر من طبيعتهم التغير ، وعدم الثبات على حال ، فهذا يجعل المؤمن دائماً على وجل ، يسعى للثبات على الحق ، كما يجعل هناك فرصة للمفرِّط في حق ربه ليرجع عن غيه ويتوب .

لا ينبغي أن تنظر الزوجة لزوجها المنحرف على أنه ذهب في طريق لا رجعة منه ، وأنه لا أمل في إصلاحه واستقامته ، أو أنها ستذهب من طريق وهو من طريق ، فهذه النظرة المتشائمة ليست من فطرة المؤمن المتسامحة ، ولا من طبيعة الكرام الطيبين الذين يغفرون الزلات ، ويعفون عن المسيء ، ويحسنون إلى من أساء إليهم .

وما هي الخطوات التي تتبعها الزوجة لإصلاح زوجها ؟

١ ـ لا ينقص احترامها له مهما بلغت أخطاؤه ، ولا تجعل من زلله ذريعةً لأن تتطاولَ عليه ، وتُلغي قوامته عليها ، وتتعالى على حرمته ، وذلك كله لسببين :

الأول : احترام المرأة لزوجها من احترامها لنفسها ، حيث أمرها الله بتوقيره وطاعته ، لأنه ولي أمرها ، والقيِّم عليها .

الثاني : **حتى لا تهتز مكانة الأب في نفوس أولاده** ، مما قد يسبب انحرافهم ، وانفلات زمامهم ، وإذا رأوا أمهم لا تطيع أباهم ، ولا توقره ، فهم سيسلكون مسلكها في عصيانه وعقوقه ، وهذا مما يفكك أواصر الأسرة ، ويقوض أركانها .

قال ﷺ : « لا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا في الدُّنْيَا إلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الحُوْرِ العِيْنِ : لا تُؤْذِيْهِ قَاتَلَكِ اللهُ ، فإنَّما هُوَ عِنْدَكِ دَخِيْلٌ[1] يُوْشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا »[2] .

وقال ﷺ : « لَوْ كُنْتُ آمِراً أَحَداً أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا »[3] .

٢ ـ توصي أقاربه أو أقاربها ممن لهم مكانة واحترام في قلب زوجها ، حتى يأخذوا بيده نحو الإصلاح والإقلاع عن الغي والفساد ، لأنَّ الإنسان في سكرة المعصية يحتاج إلى من يرفق به ليخرجه مما هو فيه .

وفي تلك الحالة ، فالزوج ربما لا يقبل من زوجته نصيحة أو كلمة ، بينما هو يقبلها ممن يحترم رأيه ، ويكنُّ له مكانة في قلبه .

---

(١) أي ضيف ونزيل مرتحل .
(٢) رواه الترمذي عن معاذ بن جبل .
(٣) رواه الترمذي عن أبي هريرة .

٣ ـ **لا تفشي له سراً ، ولا تظهر الشماتة به عند خطئه ، ولا** تشيع أخطاءه بين الآخرين ، فذلك مما يزيد من ابتعاده عن الحق ، ويغلق أمامه أبواب التوبة ، ويجعل عودته إلى الرشد والصواب أمراً بعيدَ المنال .

فالمرأة العاقلة هي التي تجعل سياجاً حول أسرار بيتها ، ولا تشيع أخبار أسرتها بين من حولها ، وتجعل انحراف السلوك محصوراً في أضيق دائرة حتى يتسَّنى علاجه .

قال ﷺ : « لا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْداً في الدُّنْيَا إلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ »[1] .

وقال ﷺ : « كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إلَّا المُجَاهِرِيْنَ ، وإنَّ مِنَ المُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ باللَّيْلِ عَمَلاً ، ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ فَيَقُوْلُ : يا فلانُ ! عَمِلْتُ البَارِحَةَ كذا وكذا ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سَتْرَ اللهِ عَنْهُ »[2] .

وهذا الحديث عامٌّ في ترك المجاهرة بالمعصية .

* * *

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة .
(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة .

٤ ـ الدعاء له بالهداية

من أكبر أسباب الإصلاح وهداية القلوب ورجوع العاصي عن فجوره وفساده هو الدعاء له بالهداية ، لأنَّ القلوب كلَّها بين أصبعين من أصابع الرحمن ، يقلبها كيف يشاء ، فمن أراد أن يزيغه أزاغه ، ومن أراد أن يثبّته ثبته ، ولذلك كان من أكثر دعاء النبي ﷺ : « اللَّهُمَّ يا مُقَلِّبَ القُلُوْبِ ثَبِّتْ قَلْبِي علىٰ دِيْنِكَ ، اللَّهُمَّ يا مُصَرِّفَ القُلُوْبِ صَرِّف قَلْبِي إلى طاعَتِكَ »[1] .

كما أن الدعاء هو مخ العبادة ، وفيه إظهار الفاقة والذل والانكسار بين يدي الله ، والله يحب من عبده أن يسأله ويتضرع إليه ، والزوجة حال انحراف زوجها أحوج ما تكون إلى سند يحميها من الفتن ، وركن متين تلجأ إليه عند الشدائد ، فالدعاء يجعل قلبها موصولاً بربها ، فتزداد صلتها به ، وتتقوى علاقتها بحبه والالتجاء إليه ، وكلما دعت دعوة لزوجها بظهر الغيب ، كلما نالت شرف تأمين الملَك الموكل بها ، حيث يقول على دعائها : آمين ، ولك بمثل .

قال ﷺ : « دَعْوَةُ المَرْءِ المُسْلِمِ لأَخِيْهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابةٌ ،

---

(١) رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

عِنْدَ رَأسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ ، كُلَّمَا دَعَا لأَخِيْهِ بِخَيْرٍ قَالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهِ : آمينَ وَلكَ بمثل »[1] .

وعلى المرأة الصالحة حينما تدعو لزوجها بالخير مراعاة ما يلي :

١ ـ **أن يكون ذلك بظهر الغيب** ، وليس أمامه تلقاء وجهه ، فبعض النسوة إذا رأت من زوجها معصية نادت في وجهه : ربنا يهديك . وذلك بانفعال وغيظ وحنق ، فهذه الكلمة أقرب ما تكون إلى السب واللعن منها إلى الدعاء بالهداية ، وأما علامة الصدق والرغبة في الإصلاح فهي الدعاء بظهر الغيب .

٢ ـ **اختيار الأوقات الطيبة** ، مثل ثلث الليل الأخير ، وعند السحر ، وعند الإفطار من الصيام تطوعاً كان أو فريضة ، وفي يوم عرفة ، ودبر الصلوات المكتوبات ، فهذه الأوقات محبوبة عند الله ، وقلَّما يردُّ فيها سائلاً إلا بعطاء ، ولا يرده مكسور الخاطر ، بل يرضيه إن عاجلاً أو آجلاً .

٣ ـ **الدعاء بالاضطرار وحضور القلب** ، وليس أداءً وعادةً ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل : ٦٢] ولا سيما إذا كان حال السجود ، وذلك لقوله ﷺ :

---

(١) رواه مسلم عن أبي الدرداء .

« أَقْرَبُ مَا يَكُوْنُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ ، فَأَكْثِرُوْا الدُّعَاءَ »[1] .

٤ ـ تدعو له بالهداية إلى الحق ؛ والاستقامة على الدين ؛ وذلك عاماً دون تخصيص ، فهي لا تدعو الله لزوجها لينصلح لها فقط ، ولو بضياع دينه ، بل تدعو الله لينصلح زوجها عليه أولًا ، ومن ثَمَّ فهو سينصلح مع جميع من حوله ، فمن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن أصلح آخرته أصلح الله دنياه ، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته .

إنَّ سهام الدعاء نافذة ، وصلاح النفوس بيد الله ، وليس هناك مُحَال أمام قدرته لقدرته سبحانه ، فهو يغير ولا يتغير، وهو على كل شيء قدير ، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] .

* * *

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة .




الباب الثالث

ماذا يفعل الزوج عند انحراف الزوجة ؟

١ ـ الستر ومحاولة الإصلاح متدرجاً بتوجيه القرآن :

أ ـ الموعظة .

ب ـ الهجر في المضجع .

جـ ـ الضرب غير المبرح .

٢ ـ التقيد بالضوابط الشرعية عند الإصلاح .

٣ ـ عدم تضييع الذرية .

٤ ـ الدعاء لها بالهداية .




١ ـ الستر ومحاولة الإصلاح

الزوجة المنحرفة إنسانة مريضة ، فإما أن تبرأ من مرضها ، وإلا فآخر الدواء الكي ، وإذا رأى الزوج من زوجته اعوجاجاً في السلوك ، وفساداً في الأخلاق ، وسوءاً في المعاملة ، فهذه كلُّها أعراض لمرض خطير ، يؤذن بخراب الأسرة ، وهنا وجب عليه أمران :

أولًا : الستر : فلا يتحدث بأخطائها أمام الآخرين ، ولا يفشي أسرار بيته لقريب أو بعيد ، ولا يذيع ما يراه من انحراف لأهله أو أهلها ، وذلك كله ليتمكن من إصلاح العيب وسد الخلل .

فالستر هنا مرحلة هامة لتضييق هوة الخلاف ، ومساعدة المخطىء على تصويب خطأه ، وتصحيح مساره في الحياة ، ومما يشجعه على الرجوع إلى الحق هو شعوره بالستر ، وعدم الفضيحة ، ولا سيما من أقرب الناس إليه ، فهذا يشعره بالطمأنينة والأمان ، وأن الذي انكسر يمكن إصلاحه من جديد ، وأن الخطأ ليس نهاية المطاف في طريق الحياة ، وذلك أنَّ المخطىء كالمريض يحتاج إلى الرعاية والدواء ، وليس إلى الشماتة والسباب .

قال ﷺ : « مَنْ سَتَرَ علىٰ مُسْلِمٍ عَوْرَةً فَكَأَنَّمَا اسْتَحْيَا مَوْؤُدَةً مِنْ قَبْرِهَا »[1] .

وأراد أحد العلماء أن يطلّق امرأته ، فسأله إخوانه لماذا تطلقها ؟

فقال لهم : لا أفشي لامرأتي سراً .

فلمّا طلقها قالوا له : أخبرنا الآن لماذا طلقتها ؟

فقال لهم : مالي ولامرأة غيري . وأبى أن يكشف سرها وسبب فراقه عنها .

فهذا هو أدب الصالحين عند نشوء الخلاف المفضي إلى الفراق .

ثانياً : محاولة الإصلاح متدرجاً عملاً بنصيحة القرآن :

الذي خلق النفس البشرية أعلم بدوائها من دائها ، وشفائها من أمراضها ، وحينما وضع لها الحلول لمشاكلها المستعصية ، فهو يضع الحلول التي تناسبها ، وتنسجم مع فطرتها ، وذلك لأنه خالقها وربها وبارئها ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤] ومن هنا فلا حاجة لنا لأخذ منهج أرضي من شرق أو غرب ، لأنَّ بين أيدينا منهج السماء يهدينا ويرشدنا ويكفينا ويغنينا .

---

(١) رواه النسائي عن عقبة بن عامر .

قال تعالى : ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ [النساء : ٣٤] .

والنشوز معناه الارتفاع ، فالمرأة الناشز هي المرتفعة على زوجها ، التاركة لأمره ، المعرضة عنه ، المبغضة له ، فمتى ظهر له منها أمارات النشوز فعليه أن يتدرَّج معها في العلاج ، كما وصفه القرآن الكريم ، وهو كالآتي :

أ ـ الموعظة بالحسنى : « فعظوهن » وهو أن يخوفها عقاب الله من عصيانه ، فإن الله قد أوجب حق الزوج عليها وطاعته ، وحرم عليها معصيته لما له عليها من الفضل ، ومما يؤيد هذا قول النبي ﷺ : « إذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إلىٰ فِرَاشِهِ فَأَبَتْ عَلَيْهِ لَعَنَتْهَا المَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ »[1] وهذا لفظ البخاري ، أما رواية مسلم : « إذا باتَتِ المَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا المَلائِكَةُ حَتَّىٰ تُصْبِحَ » .

والكلام اللين ، والرفق في الموعظة ، يغير مفاهيم العقول ، ويرد الغافلين عن غفلتهم إذا استعملوا عقولهم ، وأدركوا مغبة أفعالهم ، وسوء النتائج من انحراف سلوكهم .

فبعض النسوة يرتدعن بهذه الموعظة ، وهي تكفيهن

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة .

للاستقامة على صحة السلوك ، والابتعاد عن التمرد والحماقة ، التي تنتهي بها إلى الضياع في صحراء الحياة ، فلا تصبح زوجةً لها احترامها ، ولا هي أم لها وقارها : بل تصير منبوذة بين أهل الأرض ، ملعونة بين أهل السماء . فالعبد يُقرع بالعصا ، والحر تكفيه المقالة .

ب ـ **الهجر في المضجع** : وهذا هو العلاج الثاني إذا لم يُجْدِ الأول ، وهو كناية عن الإعراض والغضب ، ويدل على عدم الرضا والإنكار عليها ، فلو كانت تحرص على زوجها وبيتها وأولادها ؛ ورأت أنَّ الغضب تعدى مرحلة النصح باللسان ، إلى التصرف بالإعراض والهجر ، فهنا عليها أن تنتبه إلى خطورة الأمر ، وأن قلب زوجها بدأ يتغير نحوها ، وهي التي ستجني خسارة هذا التغير في العاطفة بغضاً وكراهية ونفوراً .

وعلى الزوج ألا يهجر إلا في المضجع فقط داخل البيت ، أما أن يهجر البيت كله فلا ، وذلك لما جاء في « السنن » و « المسند » عن معاوية بن حيدة أنه قال : يا رسول الله ما حق امرأة أحدنا عليه ؟

قال : « أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ ، وَتَكْسُوْهَا إذا اكْتَسَيْتَ ، ولا تَضْرِبِ الوَجْهَ ، ولا تُقَبِّحْ ولا تَهْجُرْ إلَّا في البَيْتِ »[1] .

---

(١) رواه أحمد عن معاوية بن حيدة .

« واهجروهن في المضاجع » قال ابن عباس : الهجر هو أن لا يجامعها ولا يضاجعها على فراشها ، ويوليها ظهره . وفي رواية : ولا يكلِّمها مع ذلك ولا يحدِّثها .

جـ- **الضرب غير المبرح** : أي غير المؤثر ، قال الفقهاء : هو أن لا يكسر لها عضواً ، ولا يؤثر فيها شيئاً ، وهذا العلاج الأخير الذي ليس بعده منفذ وحيلة أمام الزوج في علاج نشوز زوجته ، وبعض النساء يُجدي معهن هذا الدواء ، فتعتدل رؤوسهن ، وينصرف شيطانهن ، ويعود إليهن صوابهن ورشدهن ، وهذا الدواء جاء في مؤخرة قائمة العلاج حيث رغَّب الشارع الحكيم في الوعظ باللسان ، والهجر في المضجع ، ثم لم يجد بداً من الأمر بالضرب للإصلاح ، وذلك حفاظاً على تماسك الأسرة ، واستمرار الحياة دون هدمها وشتاتها .

قال ﷺ في حجة الوداع : « واتَّقُوا اللهَ في النِّسَاءِ ، فإنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَان - أي أسيرات - ولَكُمْ عليهنَّ أنْ لا يُوْطِئْنَ فُرشُكمْ أحَداً تَكْرَهُوْنَهُ ، فإنْ فَعَلْنَ ، فاضرِبُوْهُنَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ ، وَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وكِسْوَتُهُنَّ بِالمَعْرُوْفِ »[1] .

وقال ابن عباس في هذه الآية : يهجرُها في المضجع ، فإن أقبلت ، وإلا فقد أذن الله لك أن تضربها ضرباً غير مبرِّح ، ولا

---

(١) رواه مسلم عن جابر .

تكسر لها عظماً ، فإن أقبلت وإلا فقد أحلَّ الله لك منها الفدية .

وقال ﷺ : « لا تَضْرِبُوْا إِمَاءَ اللهِ » فجاء عمر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال : ذَئِرْنَ[1] النساء على أزواجهن ، فرخَّص رسول الله ﷺ في ضربهن ، فأطاف بآل رسول الله ﷺ نساءٌ كثيرٌ يَشْكُوْنَ أزواجهن ، فقال رسول الله ﷺ : « لقد طافَ بآلِ محمَّدٍ نساءٌ كثيرٌ يَشْكُوْنَ مِنْ أزواجهنَّ ليس أولئك بخيارِكُمْ »[2] .

إنَّ التدرُّج في العلاج أخذاً بنصيحة القرآن يعطي الفرصة للعاقل حتى يراجع نفسه ، ويبدل من سلوكه ، ويرتدع عن غيِّه وعماه ، كما يجعل هناك فرصة واسعة لتماسك البيت قبل أن يحلَّ الخراب .

* * *

(١) اجترأن ونشزن ، وثبوت النون على لغة « يتعاقبون فيكم ملائكةٌ » .
(٢) رواه أبو داود (٣١٣٩) والنسائي وابن ماجه (٢٠٥٩) عن إياس بن عبد الله بن أبي ذُباب .

٢ ـ التقيد بالضوابط الشرعية عند الإصلاح

حينما يرى الزوج من زوجته انحرافاً فربما يخرجه الغضب إلى الوقوع فيما حرَّمه الله عليه ، ونهاه عنه ، وإذا كان هو المسؤول عن تقويم زوجته وتأديبها ، فيجب عليه أن ينضبطَ في سلوكه وتعليمه بالضوابط الشرعية حتى لا يقع في خطأ وهو يعالج الخطأ ، والعلة في ذلك هو أننا في دار اختبار وامتحان ، والله يبتلينا تارة في أجسادنا أو أموالنا ، وتارة في زوجاتنا وأولادنا ، وهو سبحانه يريد منا أن نمتثل أوامره عند وقوع البلاء ، فنتحلَّى بالصبر ، ولا يدفعنا الغضب والانفعال إلى انفلات الزمام والوقوع فيما نهانا عنه .

وهذه بعض الضوابط الشرعية التي يجب على الزوج مراعاتها عند أي خلاف :

١ ـ لا يمنُّ عليها بسابق إحسانه ، وجميل أفعاله معها ، بل يحتسب هذه الخصال كلَّها عند الله ، حتى لا يحبط عمله بالمنِّ والأذى ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ ﴾ [البقرة : ٢٦٤] .

٢ ـ يترك السباب والشتم واللعن ، فالمسلم طاهر اللسان ،

عفيف عن البذاءة وفحش الكلام ، وما كان رسول الله ﷺ فاحشاً ولا بذيئاً ، وهو القائل : « سَبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ ، وقِتَالُهُ كُفْرٌ »[1] .

وقال أيضاً : « وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وُجُوهِهِمْ إلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ »[2] .

ومرَّ سابقاً هذا الحديث : « ولا تَضْرِبِ الوَجْهَ ، ولا تُقَبِّحْ » أي لا تقل : قبَّحَكِ الله .

٣ ـ لا يفشي لها سراً ، فهذا من أكبر الذنوب والمعاصي ، ولا سيما أسرار الفراش ، فهذه خصوصية بين الزوجين بعدما أفضى كلٌ منهما إلى الآخر ، فالأمانة تقتضي حفظ هذه الأمانة مهما كانت شدة الخلاف .

قال ﷺ : « إنَّ مِنْ أشرِّ النَّاسِ عندَ اللهِ مَنْزِلةً يومَ القِيَامَةِ الرَّجُلُ يُفْضِيْ إلىْ المَرْأَةِ ، وتُفْضِي إليه ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا »[3] .

فمن الكبائر نشر تفاصيل الجماع ومقدماته ، والإفضاء معناه مباشرة البشرة البشرة ، وهو كناية عن الجماع .

٤ ـ لا يهضم حقوقها الشرعية المادية : من النفقة ،

---

(١) متفق عليه من حديث ابن مسعود .
(٢) رواه الترمذي عن معاذ بن جبل .
(٣) رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري .

والطعام ، والكسوة ، فلا يخرجه غضبه إلى تأديبها بالحرمان من حقوقها المشروعة ، فهذا ظلم وبغيٌ ، وهو مما يُسأل عنه يوم القيامة ، وقد مرَّ الحديث عن النبي ﷺ حينما سئل عن حق زوجة أحدنا عليه فقال : « أنْ تُطْعِمْهَا إذا طعِمْتَ ، وأن تَكْسُوْهَا إذا اكْتَسَيْتَ » .

٥ ـ **لا يهينُ أهلها ، ولا ينتقص من شأنهم** ، فقد أراد الله له أن يصاهرهم ، وقد قبلوه لابنتهم زوجاً ، فمن العرفان بالجميل ترك السباب والإهانة ، وتذكّر ما بينهما من العشرة والمعروف قال تعالى : ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴾ [الرحمن : ٦٠] .

وهذا مما يؤكِّد أنَّ كلَّ خلاف بين الزوجين لا يعني القطيعة وإعلان حالة الحرب بين الطرفين ، فكم من خلاف وقع ، وكم من شجار استحكم ، ثم شاء الله له أن يأخذ وقتاً وينتهي ، وربما كان السبب في فضِّ الخلاف كلمة طيبة ونفس سخية كريمة .

وما دمنا في هذه الحياة فالله تعالى يبتلي بعضنا ببعض ، لينظر ما هي ردود أفعالنا عند نزول البلاء ، فالعاقل البصير هو من يمسك بزمام نفسه حتى لا تورده موارد الهلاك .

٦ ـ **لا يتخذ من مشروعية الزواج بأخرى سلاحاً يهددها به** ، فالتعدد في الإسلام ما شُرع لهذا ، وإنما شرع للإباحة ، ولأغراض محمودة كريمة ، منها تكثير نسل المسلمين ، والحرص على كل امرأة أن تكون في كنف عائل يعولها ، فلا يبقى بين

ظهراني المسلمين امرأة عانس بلا زوج ، وكذلك لأسباب أخرى كلها مرغوبة شرعاً وعقلاً .

ومما أساء إلينا معشر المسلمين هو سوء استعمال بعض الحقوق المشروعة ، حين نستعملها في غير موضعها ، ومن ثَمَّ تضيع الغاية منها ، فإباحة التعدد ربما يستعمله بعض الرجال بقصد إحراج الزوجة ، أو جرح كرامتها ، أو إهانتها ، ومن هنا فهو قد أساء استعمال هذا الحق ، ولم يفهم القصد من وراء حكمة التشريع ، فهذا الدين العظيم يضع المنهج لجميع البشر في جميع الأقطار وإلى آخر الزمان ، وأي منهج يوضع لمراعاة هذه الظروف الثلاثة لا ينبغي أن يكون واضعه بشر ، وذلك لأن رؤية البشر محدودة بزمان وجودهم ، وحدود بلادهم ، فهم لا يعرفون عن المستقبل ذرة ، ولا يملكون رؤية التطور لأجيال قادمة ، ولذلك كل تشريع بشري في هذا المضمار قاصر وعقيم ، ولا يفي بتلبية احتياجات البشرية المتجددة على مرِّ السنين . ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة : ٥٠] .

٧ ـ **إذا احتدم الخلاف وأصبح لا مفرّ من الطلاق** ، فيراعى عند الطلاق ما يلي :

أ ـ أن يطلقها في طهر لم يصبها فيه ، لئلا تطول عليها العدة.

ب ـ أن يقتصر على طلقة واحدة ، ليستفيد من حقِّ الرجعة إن ندم .

جـ ـ أن يتلطَّف في أمر الطلاق بإعطائها ما تتمتع به ، لينجبر الفاجع ، فقد روى عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه طلق امرأة ، ويعث إليها بعشرة آلاف درهم ، فقالت : متاع قليل من حبيب مفارق .

٨ ـ لا يفاجئها بالطلاق من غير ذنب ، لقوله ﷺ : « أَبْغَضُ الحَلالِ إلى اللهِ الطَّلاقُ »[١] كما أنه إذا طلَّقها فلا يفشي لها سراً ، كما مرَّ سابقاً[٢] .

٩ ـ ألا يهددها بالانحراف هو الآخر ، كأن يتعرَّف على غيرها في الحرام ، أو يتخذ طريقه إلى صحبة السوء ، ومجالس اللهو والباطل ، ولا يجعل انحرافها مبرراً لوقوعه في الذنوب والمعاصي ، بل عليه أن يتقي الله ويصبر ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٩٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان : ٢٧ ـ ٢٩] .

فهذه بعض الضوابط الشرعية (وليست كلها) مما ينبغي أن

---

(١) رواه أبو داود عن ابن عمر .

(٢) ص (٧٢) .

ينضبطَ بها سلوك المسلم عند الخلاف ، فالمسلم متميز عن غيره في سلمه وحربه ، وفهمه وأخلاقه ، وحزنه وفرحه ، وينبغي عليه أن ينصبغ بصبغة الله ، وأن يحيي شعائر الدين ، وأن يقوده إيمانُه في الحياة إلى مرضاة الله ، وألا يكون هواه هو القائد الذي يمشي خلفه كلّما دعاه ، فالمؤمن وقّاف عند حدود الله ، يعلم أنَّ له رباً سيقف بين يديه ، وأنَّ هناك يوماً سيرجع فيه إلى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون : ١١٥ ـ ١١٦] .

* * *

٣ ـ عدم تضييع الذرية

لا ينبغي أن تكون الذرية مادة للانتقام ، أو ضحية للخلاف بين الزوجين ، أو سلاحاً يُستعمل للتهديد والضغط ونهب الحقوق ، فالذرية أمانة في عنق الرجل والمرأة على السواء ، والله تعالى قد استودعهما هذه الأمانة ، وهو سائلهم عنها يوم القيامة .

ولا ينبغي عند الخلاف أن يكون الأولاد أداة ضغط في يد طرف للضغط على الطرف الآخر ، ليتنازل عن بعض الحقوق ، أو وسيلة للابتزاز والمساومة لأخذ ما ليس بحق مشروع .

ومن هنا حثَّ الشارع الحكيم على حفظ الذرية ، وعدم تضييعها ، واعتبر التفريط في حقها من أكبر الآثام ، فقال ﷺ : « كَفَىٰ بالمَرْءِ إثْماً أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ »[1] ورواه مسلم في « صحيحه » بمعناه قال : « كَفَىٰ بالمَرْءِ إثْماً أَنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ » .

وقال ﷺ : « دِينارٌ أنفقتَهُ في سبيلِ اللهِ ، ودينارٌ أنفقتَه في رقبةٍ ، ودينارٌ تصدَّقْتَ بهِ على مِسْكِينٍ ، ودِيْناراً أنفقتَه على

---

(١) رواه أبو داود وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

أَهْلِكَ ، أعظمُهَا أجراً الذي أنفقتَهُ على أهْلِكَ »[1] .

ومن أكبر حقوق الذرية أيضاً حسن التربية ، وتزكية النفس لحملها على الأدب وحسن الخلق ، فكما أنَّ للأجساد والبطون غذاء ، كذلك للقلوب والأرواح غذاء ، ولا ينبغي للرجل عند الخلاف مع زوجته أن يغفل هذه الذرية في التوجيه والتعليم ، والعناية بالدين والخلق والسلوك .

قال تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه : ١٣٢].

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوٓا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم : ٦] .

وقال ﷺ : « مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَداً نِحْلَةً[2] أَفْضَلُ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ »[3] .

وقال ﷺ : « مُرُوا أولادَكُمْ بالصَّلاةِ وهُمْ أبناءُ سَبْعِ سنينَ ، واضْرِبُوهُمْ عليها وَهُمْ أبناءُ عَشْرِ سنينَ ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ في المَضَاجِعِ »[4] .

إنَّ الذَرية هي امتدادٌ لعمر الإنسان ، فإنْ كانت صالحةً فهي

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة .
(٢) أي عطية .
(٣) رواه الترمذي عن عمرو بن سعيد بن العاص .
(٤) رواه أبو داود عن عمرو بن شعيب عن جده .

باب في الحياة يصل منه الأجر إليه بعد موته ، حين ينقطع عمل الميت إلا من ثلاث ، وذكر منها ولد صالح يدعو له .

والولد هو غرس أبيه ، فإذا أحسن تربيته وتنشئته شبَّ على الفضائل ومكارم الأخلاق ، فيصبح نافعاً لنفسه ونافعاً لغيره .

وأما إذا أُهمل ، وترك لنفسه بلا تربية أو عناية ، فإنه سيتلف ، ويصبح فاسداً في نفسه مفسداً لغيره ، وعامة النماذج الإجرامية في أي مجتمع وبيئة إنما هي نتاج أسر مفككة ، قد عصف بها الخلاف ، ودمَّرها الصراع والشقاق ، فأفرزت في الأمة نباتاً مسموماً ، لا يأتي من ورائه خيراً أو منفعة ، بل يغرق المجتمع كله في الجريمة والشر والفساد .

ومن هنا جعل الشارع الحكيم حقوق الذرية من أكبر الحقوق ، ونوَّه بشأنها في أكثر من موضع ، وتوعَّد بالعقاب من يهملها ، أو يضيع أمرها ، وذلك سدّاً لباب الفتنة ، ودرءاً لمفاسد كبيرة تعصف بالأمة كلها من جذورها .

لذلك على الرجل أن يرعى أولاده ، ويؤدي لهم حقوقهم المادية والإيمانية ، لأنه مسؤول عن رعيته ، ولن يكون الخلاف الزوجي عذراً يشفع له بين يدي ربه يوم القيامة .

* * *

٤ ـ الدعاء لها بالهداية

الدعاء هو القاسم المشترك بين الزوجين حينما ينحرف أحدُهما عن جادة الصواب ، فيلجأ الطرف الآخر إلى الله ، الذي بيده القلوب ، ليرد الشاردَ إلى الحق ، ويأخذ بيده إلى بر الأمان ، وهذه صفة من صفات عباد الرحمن حيث يقول سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤] .

والمرأة خُلقت من ضلع أعوج ، وأعوجُ ما في الضلع أعلاه ، وأعلى الضلع هو الرأس ، وذلك حينما يتسلَّط الشيطان على عقلها ، فينحرف بها عن الصواب ، ويزين لها المخالفة والعصيان ، ويريها الحقائق مقلوبة على غير طبيعتها .

والرجل أمام هذا العوج عليه بالصبر والإصلاح ما استطاع ، ولذلك قال ﷺ : « اسْتَوْصُوا بالنِّسَاءِ خَيْراً ، فإنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ ، وإنَّ أَعْوَجَ ما في الضِّلَعِ أَعْلاَهُ ، فإنْ ذَهَبْتَ تُقِيمَهُ كَسَرْتَهُ ، وإنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ ، فاسْتَوْصُوا بالنِّسَاءِ »[١] .

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة .

وفي رواية لمسلم : « إنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ ، لَنْ تَسْتَقِيْمَ لَكَ على طَرِيقَةٍ ، فإنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وفِيْهَا عِوَجٌ ، وإنْ ذَهَبْتَ تُقِيْمَهَا كَسَرْتَهَا ، وَكَسْرُهَا طَلاَقُهَا » .

وما دامت المرأة بهذه الطبيعة ، فهي تحتاج من زوجها إلى كثرة الدعاء لها ، والصبر عليها ، والتوجه إلى الله أن يأخذ بقلبها إلى مرضاته ، فأحياناً كثيرة يعجز الإنسان بنفسه عن إصلاح عوجها ، فيستعين بالله على ذلك ، ويتبرأ من حوله وقوته إلى حول الله وقوته ، فإن قلبها بيد الله ، وهو الذي يملك توجيهه إلى الحق أو إلى الباطل .

وهذا نبي الله زكريا عليه السلام حينما كانت زوجته عقيم لا تلد ، توجه إلى الله بالدعاء ليصلحها للإنجاب ، فاستجاب الله دعاءه ، فإذا دعا مسلم موحِّد ربه ليصلح زوجته لغير ذلك من الاستقامة على الدين ، وطاعة الله فيما يريد ، ألا يستجيبُ له في أمر خطير هام كهذا ؟

بلى إنَّه سبحانه سميع قريب مجيب الدعوات : ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٩ ـ ٩٠] .

وإذا كان إيمان المرء لا يكتمل حتى يحب لأخيه ما يحب

لنفسه ، فالدعاءُ للزوجة بالتوفيق والرشد من أكبر علامات حبها ، لأنه دليل على الرغبة في استقامتها على الحق ، ونجاتها من العقاب ، ونوالها لحسن الأجر والثواب ، والبعد بها عن تعرضها للعنة الملائكة وغضب الله ، فالمرأة التي تغضِب زوجها تلعنها الملائكة حتى تصبحَ ، وفي رواية حتى يرضى ـ أي يرضى عنها زوجها ـ فإذا دعا لها زوجها بالخير ، فالله يذهب غلَّ صدره ، وغضب قلبه ، ويبدله شفقةً عليها ، ورحمة بها ، وتكفي هذه الثمرة الطيبة من ثمرات الدعاء ، ألا وهي تغير مشاعر القلب بالرأفة والعطف بدلًا من الشماتة والتأنيب والرغبة في الانتقام .

وهذه عائشة رضي الله عنها حين طلبت من النبي ﷺ أن يدعو لها فقال : « اللهمَّ اغْفِرْ لِعَائِشَةَ مَا قَدَّمَتْ ومَا أَخَّرتْ ، وَمَا أَسَرَّتْ وَمَا أَعْلَنَتْ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْهَا » .

فضحكت حتى سقط رأسها في حجرها .

فقال لها : « أَيُعْجِبُكِ هذا الدُّعاءُ » ؟

قالت : بلى .

قال : « والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنَّها لَدَعْوَتي لأُمَّتِي عِنْدَ كُلِّ صَلاةٍ »[1] .

* * *

---

(١) رواه ابن حبان عن عائشة .




الباب الرابع

ماذا يفعل أهل الزوج وأهل الزوجة عند نشوء الخلاف ؟

١ ـ دور أهل الزوج .

٢ ـ دور أهل الزوجة .

٣ ـ التحكيم .




١ ـ دور أهل الزوج

لأهل الزوج دور هام في امتصاص غضب ابنهم الذي يخرجه عن جادة الصواب ، وربما أدّى به إلى قرار يندم عليه ، ويأسف له ، ودورهم هنا هو النصيحة بحسن العشرة ، وعدم تحريضه على زوجته ، وذلك عملاً بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات : ١٠] وقوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾ [المائدة : ٢] .

وقول النبي ﷺ : « الدّينُ النَّصِيْحَةُ » .

قلنا : لمن يا رسول الله ؟

قال : « للهِ ، ولِكِتَابِهِ ، ونَبِيِّهِ ، ولأَئِمَّةِ المُسْلِمِيْنَ ، وعَامَّتِهِمْ »[1] .

إنَّ أهل الزوج يحرصون على سمعة العائلة ، ومن ثَمَّ فسمعة الزوج أمر تهتم به العائلة ، ولا تستطيع أن تغفل عنه ، ذلك أن الزوج عضو من أعضائها ، وما يمسه يمسهم جميعاً ، والزوج عند

---

(١) رواه مسلم عن تميم الداري .

الخلاف يكون في حالة من الغضب والتوتر ، لا يستطيع معها أن يأخذ قراراً سديداً متأنياً ، وربما تسلل الشيطان في غمرة الغضب فوسوس له بالطلاق ، وهنا يأتي دور الأهل في تهدئته ، وترغيبه في السعي لإصلاح زوجته ، وتذكيره بما بينهما من العشرة القديمة ، والذرية الرابطة بينهما ، والأيام الطيبة التي مرَّت بينهما في ود وسلام ، وأن الألم شريعة الحياة ، وما يحدث بين الزوجين سحابة صيف يوشك أن تنقشع ، وأن أعظم البيوت لا يخلو من خلاف ، ولكنه لا ينبغي أن يتطور الخلاف إلى شقاق وجفاء ، ثم قطيعة وفراق .

وهنا أيضاً على أهل الزوج ترك العصبية لاسم العائلة ، وعدم التحيز للابن ظالماً كان أو مظلوماً ، حتى لا يأتيه الشعور بالنفور والعداء لزوجته ، أو الإحساس بأن هناك حرباً سوف تقوم بينهما ، وعليه إعداد العدة لذلك اللقاء الوهمي .

وهنا يجب ألَّا يُنْصَرَ الزوج على كل حال ، فإن كان مظلوماً نذكره بالله ، وأن حقه سوف يأتيه ، وما انكسر سوف ينجبر بالحسنى والحكمة وحسن الحيلة ، وأما إن كان ظالماً فيجب رده عن ظلمه ، وتخويفه من عقاب الله الذي حرَّم الظلم على نفسه ، وتوعد بالانتقام للمظلوم من الظالم .

وهنا يأتي حديث رسول الله ﷺ الذي يؤكِّد هذا الأصل العظيم ، فيقول : « انْصُرْ أخاكَ ظالِماً أو مَظْلُوْماً » .

فقالوا : يا رسول الله ننصره مظلوماً ، فكيف ننصره ظالماً ؟!

فقال : « تَرُدُّهُ عَنْ ظُلْمِهِ ، فَذَلِكَ نَصْرُكَ إِيَّاهُ »[1] .

وفي باب الإصلاح بين الزوجين يباح الكذب بنية الإصلاح تسكيناً لثورة الغضب في قلبه ، واخماداً لمشاعر العداء والانتقام ، حتى تعتدل مشاعره تجاه زوجته ، وتستميل قلبه عاطفةُ إصلاحها وليس فراقها .

قال ﷺ : « لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، فَيَقُولُ خَيْراً ، وَيُنْمِي خَيْراً »[2] ومعنى (ينمي) أي ينقلُ الكلامَ عن لسانِ طرفٍ لم يقله بقصدِ الإصلاحِ والتوفيقِ .

وكذلك على أهل الزوج عدم التحريض على العداء ، وعدم التلويح له بالزواج من أخرى ، أو تحريضه على فراق زوجته ، فربما يكره الإنسان أمراً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق : ٧] .

* * *

---

(١) رواه الترمذي عن أنس .
(٢) متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعيط .

٢ ـ دور أهل الزوجة

ينبغي لأهل الزوجة ألا تأخذَهم الحمية الكاذبة على ابنتهم ، فيظهروا حماسةً للدفاع عنها تحول بين ابنتهم وبين إصلاحها على زوجها ، فالزوج ليس خصماً ولا عدواً ، وإنما هو جزء من أسرتهم الكبيرة ، وهو أب لأولاد ابنتهم ، ومن أكبر معاني المصاهرة هي انصهار البعيد مع القريب بالنسب ، حتى يصيروا معدناً واحداً ، وسبيكة متماسكة متجانسة ، لا تميز فيها ولا فروق .

وأهل الزوجة كأهل الزوج تماماً ينظرون إلى ابنتهم أو ابنهم دون تميز أو عصبية ، بل يحتضنون الزوجين ، وينظرون إليهما نظرة الآباء الرحماء ، وليس الخصوم الأشداء .

وهنا يأتي دور أهل الزوجة عند نشوب الخلاف في نصيحة ابنتهم بحسن طاعة زوجها ، واحترامه ، وتوقيره ، والمحافظة على بيتها وذريتها ، وعدم ترك البيت مهما بلغت حدة الخلاف ، وتحمل المكاره ، والصبر على البلاء ، والنظر إلى طبيعة الحياة على أنها لا تخلو من الآلام والمصائب ، وعليها الصبر والاحتساب ، ولا سيما عند وجود ذرية لا يجوز التضحية بها .

بهـذه الحكمـة الـواعيـة يـردون ابنتهـم إلـى الصـواب ، ولا يحرضونها على العصيان ، وإن كانت مظلومة ، فهناك طرقٌ شرعية لدرء الظلم عنها وحفظ حقوقها .

وأما إن كانت ظالمة فينبغي ردَّها إلى رشدها ، وعدم طواعيتها في طيشها وغيِّها ، حتى لا تتسع رقعة الخلاف ، ويصعب بعد ذلك التوفيق والإصلاح .

وهناك أمثلة عديدة ترسم أروع صورة لحسن التصرف؛ والوعي العميق ؛ لمعالجة جذور الخلاف من أهل الزوجة عند خلافها مع زوجها ، وهي تعطينا القدوة والمثل لكيفيّة معالجة هذه القضايا الحساسة ، التي تمس الأسرة كلها في كل حين ، ولا يكاد يخلو منها بيت من البيوت حتى بيوت الأنبياء والعلماء والصالحين .

ذهب النبي ﷺ يوماً ليزور فاطمة وعلي رضي الله عنهما ، فلم يجد علياً في البيت ، وحينما سأل عنه قالت له فاطمة : لقد غاضبني وخرج . فالتمسه النبي ﷺ ، فوجده راقداً في المسجد ، وقد امتلأ ظهره تراباً ، فجعل النبي ﷺ يمسح التراب عن ظهره ويقول له : « اجْلِسْ أبا ترابِ ـ وفي رواية ـ قُمْ أَبا تُرَابِ »[1] وأخذ بيده ، وأصلحه على ابنته ، وخرج متبسماً ، وقد أصلح بين أحب اثنين إليه .

---

(١) رواه البخاري عن سهل بن سعد .

يقول ابن حجر تعليقاً على هذا الحديث : ويحتمل أن يكون سبب خروج عليّ خشية أن يبدو منه في حالة الغضب ما لا يليق بجناب فاطمة رضي الله عنها ، فحسم مادة الكلام بذلك إلى أن تسكن فورة الغضب من كل منهما .

وفيه كرم خلق النبي ﷺ ، لأنه توجه نحو عليّ ليترضاه ، ومسح التراب عن ظهره ليبسطه ، وداعبه بالكنية المذكورة المأخوذة من حالته ، ولم يعاتبه على مغاضبته لابنته مع رفيع منزلتها عنده ، فيؤخذ منه استحباب الرفق بالأصهار ، وترك معاتبتهم إبقاءً لمودتهم ، لأنَّ العتاب إنما يخشى ممن يخشى منه الحق ، لا ممن هو منزَّه عن ذلك . اهـ .

فهذا الموقف المشرق المنير من سيد الخلق ﷺ يدل على سعة صدره ، ووافر رحمته بأمته ، حيث ذهب بنفسه لزوج ابنته يترضاه ، ويأخذ بيده ، ولم تأخذه الحمية لابنته ، رغم حبه الشديد لها ، بل تصرَّف بغير تحيز ولا عصبية ، وجمع بينهما في ود وعطف وحنان ، وبذلك تهدأ النفوس ، ويندحر الشيطان ، وتخمد نار الفتنة ، وتلك هي قمة الحكمة الواعية في علاج هذه الخلافات الناشئة بين الزوجين ، والتي يمكن أن تتفاقم وتعلو ، وتذهب إلى أبعد مدى لو لم تكن هناك الحكمة والرحمة الواسعة .

* * *

وهناك مثال آخر داخل بيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما قال : صخبتُ على امرأتي فراجعتني ، فأنكرت أن تراجعني ، قالت : ولم تنكر أن أراجعك ؟ فوالله إنَّ أزواج النبي ﷺ ليراجعنه ، وإنَّ إحداهنَّ لتهجره اليوم حتى الليل ، فأفزعني ذلك ، وقلت لها : قد خاب من فعل ذلك منهن ، ثم جمعت عليَّ ثيابي ، فنزلت حتى دخلت على حفصة ، فقلت لها : أي حفصة أتغاضب إحداكنَّ النبيَّ ﷺ اليوم حتى الليل ؟ قالت : نعم ، فقلت : قد خبتِ وخسرتِ ، أفتأمنينَ أن يغضبَ الله لغضب رسول الله ﷺ فتهلكي ؟ لا تستكثري النبي ﷺ ، ولا تراجعيه في شيء ، ولا تهجريه ، وسليني ما بدا لك »[1] .

قال ابن حجر تعليقاً : وفيه تأديب الرجل ابنته وقرابته بالقول لأجل إصلاحها لزوجها . اهـ .

وهذه بصيرة عمر الفاروق رضي الله عنه تتجلّى في حرصه على مشاعر نبيه ﷺ ، وعدم تغير قلبه نحو زوجته حفصة بنت عمر ، فيأتيها يهذبها ، ويعلمها وينصحها ؛ لئلا تفقد ود زوجها وحبه وعاطفته .

وهذا هو دور الأب الناصح الشفيق ، الذي يحرص على ابنته ، ويريد لها حياة مستقرة آمنة .

---

(١) رواه البخاري عن ابن عباس .

فهذا العتاب لابنته ، وأمرها بحسن طاعة زوجها ، هو دور أهل الزوجة ، ولا سيما إذا كان الزوج عالماً صالحاً ينتفع الناس بعلمه ، فالله تعالى يغار عليه ، ويغضب ممن أغضبه ، ويتولى حفظه والدفاع عنه ، لأنه يجتهد لحفظ دينه ، والدفاع عن شريعته ، فكيف يتركه ربه ويخذله ؟ بل هو يحامي عنه وينصره ، وينتقم ممن يغضبه ويعكر عليه صفو قلبه ومشاعره .

* * *

وهذا موقف آخر بين النبي ﷺ وزوجته عائشة رضي الله عنها حينما حدث بينهما خلاف ، فاستدعى أباها ، فلمّا جاء أبو بكر رضي الله عنه قال لها النبي ﷺ : إما أن تتكلّمي أنت أو أتكلّم أنا ، فقالت : بل تكلّم أنت ولا تقل إلّا حقاً !! فغضب أبو بكر رضي الله عنه ، وانهال عليها ضرباً وقال لها : يا عدوة نفسها ، وهل ينطق إلّا بالحق ، فما حجزها عنه إلّا النبيُّ ﷺ ، وقال له : يَا أبا بكرٍ انصرفْ رَاشِداً ، ما دَعَوْنَاكَ لهذا » .

وبعد فترة جاء أبو بكر ليزورهما فوجدهما جالسين يأكلان ، وهما يبتسمان ، فقال لهما مبتسماً : أدخلاني في سلمكما ، كما أدخلتماني في حربكما .

إن دور أهل الزوجة هنا غاية في الدقة والخطورة ، فإنهما لو تحيَّزا لابنتهما بالحق أو بالباطل لانقطعت كل صلات المودة والمحبة ، وانقلبت الخلافات البسيطة إلى خلافات عميقة ،

وانكسرت جميع جسور الحب والتفاهم والمودة بين الطرفين ، وهنا يتأصل الخلاف ، وتترسخ جذوره ، ويصعب بعد ذلك زواله .

أما حينما يقفون من ابنتهم موقف النصح ، ولزوم الأدب ، واحترام الحدود الشرعية ، فهنا ترتدع المرأة عن غيها ، ولا تجد فرصة تتعالى بها على زوجها محتمية بحماسة أهلها .

ويجد الزوج من أهل زوجته عدلًا وإنصافاً ، وعقلاً وبصيرة وأخلاقاً ، فينقلب هذا على زوجته حباً وحناناً ورعاية وحفاظة ، وتزداد مكانتها في قلبه ، ويغدق عليه أضعاف ما كان يعطيها من قبلُ ، ويحرص مستقبلاً على مشاعرها وعواطف قلبها ، وينعكس هذا على سلوكه أيضاً لطفاً ومودة ، وجوداً وكرماً ، لأنه وجد من أهلها بصيرة دفعتهم إلى العدل والإنصاف ، ونأت بهم عن الجور والظلم والإجحاف .

وهذه المكاسب التي تجنيها المرأة من وراء حسن تصرف أهلها معها حين الخلاف أضعاف ما كانت ستكسبه بالظلم والخلاف والشقاق ، هذا لو كانت هناك مكاسب من الأصل ستربحها ، اللهم إلا الشتات والضياع ، وخراب البيت ، وتشريد الأسرة ، ثم تجلس من بعد تندب حظها ، والعلة وراء هذا الخسران كله هو حماقة أهلها ، الذين يظنون أنهم يحبونها ويحرصون عليها ، بل ويعتقدون بذلك حفظ حقوقها وكرامتها ، بينما هم كانوا سبباً في تحطيمها وضياعها ، وتخريب حياتها ،

وفقدانها لنعمة الحياة الزوجية الكريمة .

وأهل الزوجة عليهم واجب آخر عند الخلاف ، ألا وهو تذكير ابنتهم بعقاب الله لها لو أغضبت زوجها ، وهدمت بيتها ، ولا سيما إذا طلبت الطلاق لغير سبب شرعي ، ولا عذر مقبول .

وقد جاءت النصوص تنهي عن تحريض الزوجة في طلب الطلاق دون عذر وبأس .

قال ﷺ : « إنَّ المُخْتَلِعَاتِ والمنتزعاتِ هُنَّ المُنَافِقَاتِ »[1] والمختلعة هي المرأة التي تطلب الطلاق من زوجها دونما بأس ، وقد لحقها هذا العقاب الشديد حيث دخلت بهذا الحمق في زمرة المنافقين ، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار .

وقال ﷺ : « أَيّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجِهَا الطَّلاقَ مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الجَنَّةِ »[2] .

إن هذا الوعيد الشديد ، وذلك العقاب الأليم الذي توعد الله به من تطلب الطلاق لغير بأس ، أو عذر شرعي مقبول ، ليدل دلالة عظيمة على حرص الإسلام على تماسك الأسرة ، وعدم العبث بها ، والمحافظة على بقائها واستمرارها ، وعدم تركها ميداناً للأهواء الجامحة ، أو النزوات الطائشة ، والرغبات

---

(١) رواه الطبراني عن عقبة بن عامر رضي الله عنه .

(٢) رواه الترمذي وأحمد وأبو داود وابن ماجه عن ثوبان رضي الله عنه .

المتقلبة ، فالأسرة لبنة الأمة ، وعلى الجميع المحافظة عليها ، والكل مسؤول عن تماسكها ، وهؤلاء الأطراف الأربعة شركاء في تلك المسؤولية أمام الله : **الزوج** ، **والزوجة** ، **وأهل الزوج** ، **وأهل الزوجة** ، ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨١] .

* * *

٣ ـ التحكيم

إن الشورى ولغة العقل والحوار تختصر كثيراً من المسافات بين القلوب المتباعدة ، ولذلك شرع الله التحكيم بين الزوجين عند الشقاق واحتدام الخلاف ، وهو تشريع يدل على مدى السمو والرفعة والعلو ، الذي يرتفع به المؤمنون في سلوك حياتهم حينما يرتضون شرع الله منهجاً يصوغ تصوراتهم وفهمهم ونظرتهم إلى الأمور .

أ ـ فما هي مشروعية التحكيم ؟

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ [النساء : ٣٥] .

ب ـ وما معنى التحكيم ؟

قال ابن عباس رضي الله عنهما : أمر الله عزَّ وجلَّ أن يبعثوا رجلاً صالحاً من أهل الزوج ، ورجلاً مثله من أهل الزوجة ، فينظران أيهما المسيء ، فإن كان الزوج هو المسيء حجبوا عنه زوجته ، وقصروه على النفقة ، وإن كانت الزوجة هي المسيئة ، قصروها على زوجها ، ومنعوها النفقة .

فإن اجتمع رأيهما على أن يفرقا أو يجمعا فأمرهما جائز ، فإن رأيا أن يجمعا فرضي أحد الزوجين وكره الآخر ، ثم مات أحدهما ، فإن الذي رضي يرث الذي لم يرض ، ولا يرث الكاره الراضي .

ومما سبق بيانه نقف على أمرين هامين :

الأول : أهمية النية عند الإصلاح بين الزوجين ، وجعل التوفيق بينهما معلَّق بصحة النية ، وهي إرادة الخير والإصلاح بينهما .

إذن شرط حصول الفائدة من هذا التحكيم هو **توفر الإرادة الصادقة والنية الأكيدة على إرادة الخير والإصلاح حتى يتم التوفيق بينهما** ، وقد شرط الله هذا الشرط بقوله : ﴿ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ ﴾ [النساء : ٣٥] .

ولكن هذه الإرادة ذكرت هنا مطلقة ، فهل هي إرادة تتعلَّق بالزوجين ، أم إرادة تتعلَّق بالحكمين ؟؟

إنها تسع المعنيين لشمول النفع وعموم الفائدة ، فعلى الزوجين صدق النية في إرادة الخير ، وكذلك على الحكمين تصحيح النية لحصول التوفيق ، والنية من أعمال القلوب ، وعليها تتوقف صحة الأعمال ، والقبول مشروط بوجودها قبل الشروع في العمل ، ولذلك قال ﷺ : « إنَّما الأعمالُ بالنيَّاتِ ، وإنَّما لِكُلِّ امرىءٍ ما نَوَىٰ ، فَمَنْ كانتْ هجرتُه إلى اللهِ ورسولِهِ فهجرتُه إلى اللهِ

ورسولِهِ ، ومَنْ كانتْ هجرتُهُ لدنيا يصيبُها أو امرأةٍ ينكحُها فهجرتُه إلى ما هاجَرَ إليه »[1] .

إن نوايا القلوب لا يطلع عليها البشر ، وإنما يعلمها علام الغيوب ، وما دام قد رغَّبنا في صحة النية ، ليحصل التوفيق ، فهو يهيء بذلك نفوس المؤمنين المشتركين في هذا التحكيم ، سواء كانوا زوجين أو حكمين ، حتى يراقب كل منهم نفسه ، ويراجع نيته ، ويبعث في قلبه ، ويتوجه إلى ربه ، حتى يتم المراد ، ويحصل المقصود . هذا ، وإلا أصبح التحكيم ضرباً من ضروب العبث ، وضياع الوقت ، والجلوس على كلام ، والقيام على فراغ ، ولا يجني الطرفين منه إلا زيادة في الكراهية ، وابتعاداً عن مواطن الصلح ونقاط الالتقاء ، بل ربما دخل الشيطان ، فجعل من التحكيم فرصة للمواجهة والتجريح ، والسب والعراك ، حتى ينال كلٌّ طرف من الآخر ، ليطهر ساحة موكله ، ويلقى بالتبعة كلها على خصمه الذي أمامه .

ثانياً : ما يصل إليه الحكمان يصبح ملزماً شرعاً لكلا الطرفين ، ولذلك عليهما التأني وترك العجلة في الحكم قبل الوثوق من قرار يتعلق به مصير أسرة كاملة .

قال ابن عبد البَّر : وأجمع العلماء على أنَّ الحكمين إذا اختلف قولهما فلا عبرةَ بقول الآخر ، وأجمعوا على أنَّ قولهما

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب .

نافذ في الجمع ، وإن لم يوكلهما الزوجان ، واختلفوا هل ينفذ قولهما في التفرقة ، ثم حكى عن الجمهور أنه ينفذ قولهما فيها أيضاً من غير توكيل . اهـ .

إن الله تعالى شرع التحكيم فرصة أخيرة لرأب الصدع الذي أصاب بنيان الأسرة ، وشرط في الحكمين أن يكونا صالحين تقيين ، يريدان الخير ، ويرغبان في الوصول إلى الحق ، فإذا اجتمعا على الحوار بالحسنىٰ ، والتراضي بنفوس سخية ، والمشورة برغبة صادقة ، ونية صالحة للوصول إلى الحق والصواب ، فإنَّ الله يأخذ بنواصيهما إلى أرشد الأمور .

إن الله يلهم الحكمة والسداد ويرزق التوفيق وصحة الرأي ، حتى تنقشعَ غمامة الخلاف ، ويصل الجميع إلى هدوء النفوس ، وطمأنينة القلوب ، وتنغلق بذلك أبواب الخصومة والعداء ، ويصلوا إلى أحد أمرين :

إما إمساك بمعروف ، وإما تسريح بإحسان .

وبذلك تحفظ سمعة الأسرتين ، وكذلك يؤمَّن مستقبل الذرية التي بين الزوجين ، وتصل الأسرة إلى بر الأمان ، وهذا كله حتى تتجنب العلاقة الزوجية النهاية في ساحات المحاكم ، أو الخاتمة بالعراك والسباب والشجار .

قال تعالى : ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [النساء : ١١٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ ﴾ [النساء : ١٢٨] .

وقال ﷺ : « مَنْ كانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ مِنْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ قَبلَ أَنْ لا يَكُوْنَ دِيْنَارٌ ولا دِرْهَمٌ ، إنْ كانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ ، وإنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ ، أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ ، فَحُمِلَ عَلَيْهِ »[1] .

وقالت عائشة رضي الله عنها : سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا : « اللهمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شيئاً ، فشقَّ عليهم ، فاشقُقْ عليه ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ فارفقْ بِهِ »[2] .

ومما ينبغي التنبيه إليه هو حسن اختيار الحكمين من أهل الزوجين ، فلا يقع الاختيار على الثرثار كثير الكلام ، أو ذي منصب يحتمي به ، ويترفع على الناس متعالياً عليهم ، ولا ذي بطشٍ يختال بقوته ، ويستعرض أمام الآخرين شِدَّةَ بأسه ، بل إنَّ روح التحكيم تفرضُ أن يقعَ الاختيارُ على الرجل الصالح التقي الورع المستقيم ، الذي يعرف حدود الله ، ويراقب ربه في السر والعلانية ، ويصدع بالحق في حدود اللباقة والأدب ، ويتحاور بالحجة والكلمة الطيبة ، ويكون في خاصة سلوكه مشهوداً له

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة .

(٢) رواه مسلم عن عائشة .

بحسن السيرة ، ويتصف بالشجاعة إذا كان الحق ليس معه ، بل مع الطرف الذي أمامه .

وهذا كله أيضاً يعتمد على تصفية القلوب من المؤثرات ، كالنسب والقرابة ، حتى تكون المحاماة عن الحق فقط ، ويصبح الدفاع دفاعاً (مجرداً من أي عصبية) عن المبادىء والقيم التي أرساها ديننا الكريم ، ليحفظ بها الأسرة المسلمة من الضياع .

* * *




الباب الخامس

ما هو دور المجتمع والأمة
تجاه الخلافات الزوجية ؟

١ ـ ألا تكون الخلافات الزوجية مادة للحديث .

٢ ـ تصحيح النظرة للمطلِّق والمطلَّقة .




١ ـ ألا تكون الخلافات الزوجية مادة للحديث

إن الله تعالى يأمر بحفظ حرمة المسلم دمه وماله وعرضه ، فالأعراض لا ينبغي أن تهان وتلوكها الألسنة ، وتجعلها مادة للحديث والتسلية ، بل ينبغي أن تُصان عن الابتذال والعبث والتجريح ، فإنَّ أسرار البيوت أمانة ، وما يحدث داخل الأسرة المسلمة من خلافات يجب ألا يُشاع على الملأ ، فإنها عورة يجب سترها .

وأي خلاف خرج من محيط الأسرة إلى عموم الناس يصعب علاجه ، وربما يستحيل ، وأما إذا ظل في دائرة الأسرة أو العائلة الواحدة فيُرجى زواله ، ويؤمل انتهاؤه .

ولذلك نهى النبيُّ ﷺ أن يُسأل الرجل فيما ضرب امرأته ، وذلك أنه مؤدبها ومعلمها ، والمسؤول عنها ، فلا ينبغي أن يُفصح عن أحوال بيته ، ولا أن يسأله أحد عن سبب هذا . قال ﷺ : « لا يُسْأَلُ الرَّجُلُ فِيمَ ضَرَبَ امْرَأَتَهُ »[١] .

كما يريد الله تعالى أن يطهِّر مجالس المؤمنين من النجوى عن أحوال البيوت ، أو كل ما يؤذي المسلمين ، ويُفشي عوراتهم ،

---

(١) رواه أبو داود عن عمر ، وقد تقدم شرح معنى الضرب وضوابطه مفصلاً ص (٦٩) .

ويذيع أسرارهم ، ويجرح مشاعرهم ، بل يأمرهم أن يتناجوا فقط بالبر والتقوى ، ويشد بعضهم أزر بعض على الطاعات ، وفضائل الأعمال، وبذلك تُغلق أبواب الفتن، وتتسع الفرص لعلاج ما يحدث من خلافات، ولا يجد الشيطان ميداناً للنيل من أعراض المسلمين.

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [المجادلة : ٩ ـ ١٠] .

والنجوى المنهي عنها هي الحديث سراً بقصد الإيذاء والإساءة ، وأيُّ إساءة يمكن أن تقع على الأسرة أكبر من أن تصبح أسرارها على ألسنة الناس ، يتفكهون بها ، ويجعلونها فسحة للهو والعبث والتسلية ؟

وكذلك نهى النبي ﷺ عن تتبع العورات ، وجعل عقوبتها شديدة قاسية ، حيث يُعاقب هذا المسيء بكشف عوراته ، وفضيحته على الملأ .

قال ﷺ : « يا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بلسَانِهِ ، وَلَمْ يَدْخُلِ الإيمانُ قلبَه لا تتَّبعوا عَوْرَاتِ المسلمينَ ، فإنَّه مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ امرىءٍ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ حَتَّىٰ يَفْضَحُهُ فِيْ قَعْرِ بَيْتِهِ »[1] .

---

(١) رواه البيهقي عن البراء بن عازب .

وقال ﷺ : « إيَّاكُمْ والظَّنَّ ، فإنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيْثِ ، ولا تَحَسَّسُوْا ، ولا تَجَسَّسُوْا[1] ، وَلا تَنَافَسُوْا[2] ، وَلا تَحَاسَدُوْا ، ولا تَبَاغَضُوْا ، ولا تَدَابَرُوْا ، وَكُوْنُوْا عِبَادَ اللهِ إخْوَاناً كَمَا أَمَرَكُمْ ، المُسْلِمُ أخو المُسْلِمِ ، لا يَظْلِمُهُ ، ولا يَخْذُلُهُ ، ولا يَحْقِرُهُ ، التَّقْوَىٰ هَاهُنا ، التَّقْوَىٰ هَاهُنا » ويشيرُ إلى صدرِهِ « بِحَسْبِ امرىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أخاهُ المُسْلِمَ ، كُلُّ المُسْلِمِ علىٰ المُسْلِمِ حَرَامٌ ، دَمُهُ ، وعِرْضُهُ ، ومَالُهُ ، إنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إلى أَجْسَامِكُمْ ، ولا إلى صُوَرِكُمْ ، ولكنْ يَنظُرُ إلى قُلُوْبِكُمْ وأَعْمَالِكُمْ »[3] .

وقال ﷺ : « إنَّكَ إنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ المُسْلِمِيْنَ أَفْسَدْتَهُمْ ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ »[4] .

وما هي النتائج المرجوَّة من كفّ الألسنة عن الأعراض ، وعدم الخوض في أسرار البيوت ، وما الذي يهدف إليه الشرع من هذه الضوابط العديدة ؟

١ ـ السمو بالمجتمع المسلم عن اللغو واللغط في الأعراض ، وتطهير السلوك ، حتى ينأى به عن ميادين التجريح

---

(١) لا تبحثوا عن عيوب الناس ولا تتبعوها .
(٢) التنافس : الرغبة في الشيء والانفراد به .
(٣) رواه مسلم عن أبي هريرة .
(٤) رواه أبو داود عن معاوية .

والتشهير ، وفي ذلك تحجيم للخلافات الزوجية في أضيق دائرة ، حتى يتسنى علاجها بيسر وسهولة .

ولذلك قال تعالى : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ١٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٥٨] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [النور : ١٩] .

وقال ﷺ : « كَفَىٰ بالمَرْءِ كَذِباً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ »(١) .

٢ ـ التأكيد على حرمة البيوت وأسرارها ، حتى لا تصبح مادة للحديث على الألسنة أوِ الصحف ، فما يحدث داخل البيت من أكبر خصوصيات الزوجين ، وليس لأي متطفلٍ أن يقتحمَ عليهما بيتَهما ، وينظر فيه إلى ما لا يحل له .

٣ ـ صيانة الذرية ، والحرص على تهيئة البيئة الطيبة حولها ، لتخرج سوية صالحة ، فإذا شاعت خلافات الزوجين ، وتناقلتها الألسن ، فهذا مما يؤثّر سلباً على نفوس الأطفال ، ويجرح شعورهم ، ويربى فيهم عقداً يصعب حلها عند الكبر ، وربما تزداد هذه الانتكاسة فينحرفون ، وتتلقفهم صحبة السوء ، فيحيدون بهم عن الصراط المستقيم .

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة .

إنَّ الذين يريدون الخلافات الزوجية كلأً مباحاً يرتعون فيها كما يشاؤون ، إنما يخربون الجذور التي تغذي هذه الأمة ، ويقوضون الأركان التي تحمل بناء المجتمع ، ويهدرون القيم التي تحمي سلوك الأفراد ، وينزعون من القلوب الهيبة والوقار تجاه الحرمات والأعراض ، وهذه من علامات النفاق ، ومن أكبر صفات المنافقين ، وقد تجلَّت بصورة واضحة في حادثة الإفك ، حينما خاض المنافقون في عرض الطاهرة المطهرة عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما ، بل وقد استدرج بعض المسلمين إلى هذه الدائرة ، وخاضوا في هذا الحديث ، وهم يحسبونه هيناً ، ولكنه عند الله عظيم .

قال ﷺ : « المُسْلِمُ أخو المُسْلِمِ ، لا يَظْلِمُهُ ولا يُسْلِمُه ، مَنْ كانَ في حاجةِ أخيهِ كانَ اللهُ في حاجَتِهِ ، ومَنْ فَرَّجَ عن مُسلمٍ كربةً فرَّجَ اللهُ عَنْهُ كربةً من كُرَبِ يومِ القِيامَةِ ، ومَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيامَةِ »[1] .

وقال ﷺ : « مَنْ سَتَرَ علىٰ مُسْلِمٍ عَوْرَةً فَكَأَنَّمَا اسْتَحْيَا مَوْؤُدَةً مِنْ قَبْرِهَا »[2] .

وقال ﷺ : « إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالْكَلِمَةِ ما يَتَبَيَّنُ فيها يَزِلُّ بِهَا

(١) متفق عليه عن ابن عمر .
(٢) رواه النسائي عن عقبة بن عامر .

إلى النَّارِ أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ »[1] .

وقال ﷺ : « لَمَّا عُرِجَ بي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ ، يَخْمِشُوْنَ وُجُوْهَهُمْ وَصُدُوْرَهُمْ فَقُلْتُ : مَنْ هَؤلاءِ يا جِبْرِيْلُ ؟ قال : هَؤُلاءِ الَّذينَ يأكلونَ لُحُوْمَ النَّاسِ ، ويَقَعُوْنَ في أَعْرَاضِهِمْ »[2] .

هذه النصوص وغيرها كلُّها تدور حول قطب واحد ، ألا وهو كفُّ الألسنة عن الأعراض ، والتأكيد على صيانة الحرمات ، والارتفاع بالأمة عن لغو الحديث ؛ والخوض في الباطل .

* * *

---

(١) متفق عليه عن أبي هريرة .

(٢) رواه أبو داود عن أنس .

٢ ـ تصحيح النظرة للمطلق والمطلقة

إن الذي شرع الزواج ورغَّب فيه هو الذي شرع الطلاق ، وله حكمة من ورائه ، فالعلاقة الزوجية مبناها على الود والرحمة والسكن ، وليست غلاً على الرقاب ، أو قيداً لا يمكن الفرار منه ، ولكنَّ الشارع الحكيم يعلم طبائع النفوس البشرية ، فيشرع لها ما يصلحها ، ويصف دواءها حينما يصيبها داؤها .

فالزواج مشروع ، والطلاق أيضاً مشروع ، ولكنَّ الزواج بناء ، والطلاق هدم ، والبناء إذا تصدع فيمكن علاجه والمحاولة في إصلاحه ، وأما إذا انقطعت السبل في إصلاحه ، وتعسَّر السعي في تماسكه ، فحينئذ وجب هدمه ، حتى لا يسقط على رؤوس من فيه ، ثم يمكن إعادة البناء مرة أخرى ، وربما كان البناء الجديد أفضل وأمتن ، وأوسع وأعظم بركة من البناء القديم ، وتلك هي نظرة الإسلام إلى قضية الطلاق والفراق بين الزوجين .

وقد جاء في القرآن الكريم وعدٌ من الله بسعة الأرزاق عند الزواج ، كما جاء الوعد أيضاً بالرزق والغنى عند الفراق ، فأين هذه المواضع إذن ؟

١ ـ **عند الزواج** : قال تعالى : ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ

﴿ مِن عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٣٢] قال أبو بكر رضي الله عنه في هذه الآية : أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم به من الغنى .

٢ ـ عند الطلاق : قال تعالى : ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٣٠] .

فالغنى والرزق مذكوران بعد الزواج والطلاق ، وفي آية الطلاق ذكر مع الغنى السعة ، وفي هذا تأكيد على سعة رحمة الله بعباده ، وقدرته على جبر الكسر الذي حدث في النفوس بالفراق ، وهو حكيم فيما شرع من أحكام لعباده ، ولعل الله أن يغني الرجل بزوجة صالحة ، تعوضه عن مطلقته ، كما يرزق المرأة زوجاً صالحاً يعوضها عن مطلقها ، والجميع من موائد الله يطعمون ، ومن مناهل فضله يشربون ويرتوون .

إذن فالطلاق لم يشرع للعبث بالأسرة ، بل شرع متوافقاً مع الفطرة ، ومنسجماً مع طبيعة النفس البشرية حينما تستحيل المعيشة بين الزوجين ، فيعطيهم الفرصة لاستئناف الحياة من جديد مع شريك آخر ، يكون أكثر عوناً على طاعة الله وأعباء الحياة .

وكما ورد في السيرة أنَّ النبيَّ ﷺ تزوج فقد ورد أيضاً أنه طلَّق ، وهذا كله تعليماً لأمته ، حيث إنه سنَّ لها سنته ، وفيها القدوة والأسوة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً .

إذن وبعد هذا كله هل ينبغي للمجتمع أن ينظرَ إلى المطلَق والمطلَّقة نظرة دهشة واستغراب ؟ وهل يرى في المطلقين مصدراً للفساد ، ونموذجاً للفشل يجب تجنبه والابتعاد عنه ؟

إن هذه النظرة الغريبة هي نظرة بعض أهل الكتاب ، وهي عدوى ينبغي أن تبرأ منها الأمة ، ولا يُعقل أن تأخذ تصوراتها وفهمها للأمور من قوم قد ضلوا في أصل العقيدة ، فلا نجد عندهم أي تصور صحيح لأي سلوك قويم طالما أنه ينبع من عقيدة فاسدة ، فالسلوك هو ظل العقيدة ، وإذا فسدت العقيدة فسد معها السلوك ولا شك .

إن الله تعالى يريد استمرار الحياة وتدفقها بالخير ، ويكره أن يصيبها الشلل ، وتتجمد عند نقطة لا تتحرك عنها ، فالحياة ماضية ، والزواج ليس مقصد الحياة ، ولكنه ضرورة من ضرورات الحياة ، وعامة مشاكل الأمة إنما تنبعث من الخلط بين المقاصد والضرورات ، حتى أصبح المقصد ضرورة ، والضرورة مقصداً ، وفي هذا أكبر الفساد ، وأشد الضلال ، ويؤدي بالحياة كلها إلى الفشل الذريع .

قال الأوزاعي : سألت الزهري : أي أزواج النبي ﷺ استعاذت منه ؟

قال : أخبرني عروة عن عائشة رضي الله عنها أن ابنة الجون لما أُدخلت على رسول الله ﷺ ، ودنا منها ، قالت : أعوذ بالله

منك ، فقال لها : « لَقَدْ عُذْتِ بِعَظِيْمٍ ، الْحَقِي بأَهْلِكِ »[1] .

وبهذا ثبت أنَّ النبي ﷺ قد طلَّق ، وكذلك ثبت عن كثير من الصحابة أنهم كما تزوجوا أيضاً طلقوا ، وذلك كله دليل على الرغبة في استمرار الحياة ، لا أن تتوقف في مرحلة من مراحلها ، وهذا كله رحمة من الله بعباده ، حيث أطلق حرية الزواج ، وحرية الطلاق ، وحينما جعل الطلاق أبغض الحلال إليه فذلك إذا كان بغير سبب مشروع ، أو عبثاً بلا هدف أو غاية .

إن النظرة الكئيبة المظلمة من المجتمع للطلاق تُعد من رواسب الجاهلية ، ومن عدوى المجتمعات الغربية ، التي لم تفهم الحكمة من وراء الطلاق ، فكانت النتيجة هي الإباحية على أشدها ، وفتح أبواب الفجور كلها على مصراعيها ، حتى أصبح المتزوج أشبه بالمحكوم عليه بالحكم المؤبد مدى الحياة ، فأصبح يتخذ له خليلات وصديقات في الحرام ، وكذلك سلكت زوجته نفس المسلك ، فأصبح لها مع زوجها عشاق وأصدقاء ، والعجب من البله الذين يريدون الانتكاسة إلى هذا الحضيض المؤسف بعدما رفعهم الإسلام بقيمه العالية إلى أعلى مراتب السمو في السلوك البشري والحياة الإنسانية الكريمة .

إنَّ ديننا الكريم وضع في أيدينا مفاتيح السعادة ، ولم يتركنا فقراء في ميدان الحقيقة ، نتسول الأفكار والمناهج من الشرق

---

(١) رواه البخاري في كتاب الطلاق .

والغرب ، بل وضع أقدامنا على سبيل النجاة ، وجنبنا مواطن الزلل والانحراف ، وأخذ بأيدينا إلى مراتب الكمال بهذا المنهج الفطري السوي العظيم ، فالحمد لله على نعمة الإسلام ، والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق ، ونحن على ذلك من الشاهدين .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وعلينا معهم ، إنه سميع مجيب قريب ، وهو مولانا فنعم المولى ونعم النصير .

●●●

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *




كتب أخرى للمؤلف

١ ـ مشكاة الدعوة ونصيحة الدعاة .

٢ ـ الذكرى في علامات الساعة الصغرى والكبرى .

٣ ـ الحق المر .

٤ ـ الصفوة في حياة خيار النسوة .

٥ ـ تحذير السالك من أسباب المهالك .

٦ ـ من هي المرأة الصالحة ؟

٧ ـ النصيحة .

٨ ـ الأجوبة المسكتة .

٩ ـ المرأة التي جنى عليها دعاة التحرر .

١٠ ـ فضائل الدعوة .

١١ ـ التحفة في خطب الجمعة .

١٢ ـ المخلاة .

١٣ ـ الحلول الشرعية في الخلافات الزوجية .

١٤ ـ وقفات في حياة الأنبياء .


